السنة الثانية



العدد ١٦
تشرين الثاني - ٢٠١٣

ملحق العدد

صور من العالم الآخر

اقتحام قرية المتراس: القصة الكاملة



تقرءون في هذا العدد:







صباح الورد؛ الورد اللي بالبوط العسكري ع دوار الساعة وتلت رباع دوارت طرطوس.
صباح الأغاني؛ الأغاني الوطنية اللي أجبرت بلدية طرطوس بياعين الغاز يحطوها بدل أغاني فيروز.
صباح البحر؛ بحر الدم اللي عم نغرق فيه كلنا.
صباح النسوان اللي تلت رباعهن لابسين أسود.
صباح صور الشهداء بكل شارع وزاقوق و ع كل سيارة و باب محل.
صباح التلفزيونات الشغالة ع توب نيوز ناصر قنديل و شام إف إم و سما و الميادين.
صباح الصفحات الوطنية والناشطين في حب الوطن على الفايسبوك.
صباح الكراج القديم اللي انهد حيطو الاستنادي وقتل مدري كم شوفير وما تحاسب حدا.
صباح الكراج الجديد اللي اكتشفوا هنن وعم يحفروه آثار وكملوا شغل ولا كأنو في شي.
صباح مكرو طرطوس-اللادقية اللي أغلب ركابو بنات لأنو الشباب عم يتصدوا للمؤامرة.
صباح الشباب اللي مو تاركين وسيلة للتهرب من خدمة الجيش ولساتهن عم يبيضوا وطنية.
صباح «العقلاء» اللي مقتنعين إنو تسليم الكيماوي هوي ضرب «حكمة» للقيادة «الحكيمة».
صباح الشباب اللي بالجيش، واللي بالدفاع الوطني، واللي باللجان الشعبية، واللي عم يشتغلوا بلبنان.
صباح القيادة الجديدة لفرع الحزب، صباح العزا عهالحزب بجاه الله والمومنين!
صباح المحافظ اللي أعلى صلاحياتو يحط مطبات جديدة.
صباح البلدية اللي ناخرتها الطائفية.
صباح المحكمة اللي ناخرتها العشائرية.
صباح فرع المرور وشهادات السواقة اللي بتوصل عالبيت لولاد المسؤولين والتجار وكل مين معو يدفع بلا فحص سواقة بلا بطيخ.
صباح قصر المحافظ اللي لازم كل ما تعين محافظ جديد ينحط عليه كم مليون «صيانة».
صباح التبن الطائفي اللي براس كل واحد فينا.
صباح المسيحيين اللي متكثفين بفرع الهجرة والجوازات.
صباح السنة اللي كرهانين الله لأنو خلق العلويين.
صباح العلويين اللي مصدقين حالن إنو عم يحموا الوطن.
صباح البعثيين «المؤمنين» إنو الشعب العربي معهن و إنو المشكلة بالأنظمة العربية...عدا النظام السوري.
صباح القوميين السوريين المعتبرين سوريا وحدة اجتماعية وقومية و و الخ...ومو عارفين يتفاهموا مع جارن المن غير طائفة.
صباح «العلمانيين» اللي طلع معهن بالبحث والتنقيب إنو أهل الساحل فينيقيين، عدا أهالي الصليبة وسلمى والبيضا والساحة وأرواد والمتراس والحميدية..هدول تركمان وانتمائهن لتركيا مو لفينيقيا.
صباح «المثقفين» اللي مع الجيش وضد اللجان ولما بينطلبوا عالاحتياط بسجلوا باللجان مشان يضلوا بالمحافظة.
صباح المعارضة الوطنية «الشريفة».
صباح المعارضين الطراطسة «الخونة» اللي طلعوا برا البلد، و صباحنا نحنا «الكلاب» الجوا اللي بدهن ينداسوا قريباً.
صباح طرطوس، هالمدينة الزغيرة اللي حاويتنا نحنا «الخونة» بنظر أغلب أهلها، هالمدينة اللي عم تفيق كل يوم ع رصاص تشييع أبنائها، أبنائها المشغولون بهاجس النجاة والبقاء على قيد الحياة قبل ما يضحي فيهن اللي عم يضحوا مشانو، صباح السلام لها، صباح السلام على شهداءها و أرواحهم المقهورة. صباح المحبة لأهلها، كل أهلها. صباح الحرية التي تصدح كالصباح!

حرية سلمية مدنية

عزيزي المؤيد... إنه يحتقرك!

بقلم: رجا مطر

من البديهي – حتى بالنسبة لأغلب المؤيدين– أنّ النظام استبدادي وديكتاتوري، وأنّ كون المرء معارضاً للنظام –ولو بالكلمة– كاف تماماً لإلحاق العقوبة به من التضييق إلى الاعتقال وحتى التصفية أحياناً. يعلم المؤيدون أن النظام لايرى المعارضين مواطنين سوريين (ويشاركه بعضهم هذه النظرة)، يعلمون أنّ المعارضين يُعتقلون ويعذّبون في أفرع الأمن، ويعلمون أنّ البيئات المعارضة تقصف بالمدفعية والبراميل وصواريخ السكود، ويعلمون أن من يُقصَفون أغلبهم من المدنيين. يعلمون أنّ كثيراً من البلدات تحولت إلى ركام ونهبت عن بكرة أبيها. لا «مشكلة» في كلّ ذلك، فهذا «مفهوم»!

يدرك المؤيدون أيضاً أنّ النظام –الذي يسمونه «الدولة»– لا يحترمهم، ولا يقيم لهم وزناً، يتضح هذا مثلاً في أسماء صفحات مثل «طرطوس المحافظة المنسية» أو مقولات مثل «ابن الفقير حمى البلد، ابن الوزير لبرا هرب» و غيرها. تدافع هذه المقالة عن فكرة هي أن الأمر أبعد من «قلة الاحترام»، أنّ النظام يحتقر السوريين جميعاً –وليس المعارضين فقط–، وأنّ إنكار القيمة الإنسانية لعموم السوريين هو جوهر علاقة النظام بمحكوميه وليس فقط «تجاهلهم» أو «الخطأ بحقهم» أو «التقصير بمحاربة الفاسدين» كما يعتقد المؤيدون.

لهذه القناعة أسباب كثيرة، و تعززها وقائع وأحداث تمتد لما قبل الثورة، سنكتفي هنا بذكر بعض الحوادث التي تنتهك كرامة المؤيدين بفجور لا مثيل له، وغرضنا من ذلك «التذكير إن نفعت الذكرى».

١. الصفقة الإيرانية (الثلاثاء ٢٠١٣/١/٨): حادثة تبادل الأسرى الشهيرة الّتي بادل فيها النظام ٢١٣٦ معتقلاً ومعتقلة في السجون السورية بـ ٤٨ إيرانياً كانت قد اختطفهم «المعارضة» قرب دمشق. لاتكمن الخسّة فقط باسترخاص «المواطن» السّوري، واعتماد النظام الّذي يدعي بأنّه «سلطة شرعية» على اعتقال «مواطنيه» لمبادلتهم بمواطني دولة أخرى، بل برفض النّظام الكامل طوال الثورة مبادلة المعتقلين لديه بمدنيين وعسكريين موالين كانوا قد وقعوا أسرى في يد «الجيش الحر» الّذي ،على مايبدو، وجد أن لاسبيل لتحرير المعتقلين إلا بخطف «مواطنين» أجانب لدول يعمل النظام على خدمتها. بالمحصلة حرّر «الجيش الحر» معتقلين ينتمون لـ «حاضنته الشعبية»، وحرّر النظام «السوري» إيرانيين أجانب، ليترك الأسرى من «حاضنته الشعبية» لمصيرهم المجهول دون أدنى اكتراث.

٢. حادثة قتل الجنديين (الجمعة ٢٠١٣/٥/٣١): قام «بشار طلال الأسد» ومرافقته بقتل الجنديين الشقيقين «أحمد وجيه ديب» و «عز الدين وجيه ديب» الّذين كانا قد قدما من دمشق للمشاركة في تشييع قريبهما في قرية «بسين» التابعة للقرداحة. وكان الشقيقان قد أثارا غضب «بشار الأسد» برفضهما إخلاء إحدى المطاعم له لتناول غدائه. بدايةً رفض أهل المغدورين دفن الجثتين قبل محاسبة المجرم «الأسدي»، إلا أنّ اتصالات من جهات عليا أجريت معهما أفضت إلى «العض على الجرح»، ودفنهما دون اتخاذ أي إجراء بحق القتلة المنتمين إلى «العائلة المالكة». تعدّ هذه الجريمة واحدة من سلسلة طويلة جداً من الجرائم الّتي يرتكبها شبيحة الصف الأوّل تجاه الأهالي في الساحل دون أن يملك هؤلاء القدرة أو حتى النية للتحرك ضدّها، ودون أن تعاملهم «الدولة» خاصتهم إلا معاملة «العبيد» الّذين لا يحق لهم الاعتراض.

٣. تشييع شهداء ريف اللاذقية (الأربعاء ٢٠١٣/٨/٢١): لم يعامل النظام الشهداء الّذين قضوا بهجوم مسلحين إرهابيين على قرى ريف اللاذقية بأفضل مما عامل الشهداء الّذين يقضون كل يوم بصواريخه وبراميله المتفجرة في أنحاء سوريا. وكنا قد أشرنا في تقارير

سابقة إلى الطريقة الّتي ترك فيها المدنيين في هذه القرى لمصيرهم المجهول من خلال انسحاب ميليشياته المختصة بالسرقة والتشبيح من هذه القرى قبيل اقتحامها دون حدوث معارك تذكر. كما كانت الطريقة الّتي شيع فيها هؤلاء الشهداء استمراراً «منطقياً» لعدم اكتراث النظام بهم أو أعدم احترامه لذويهم المكلومين، الأمر الّذي أثار بلبلةً كبيرةً في أوساط الأهالي انتهت بتكسير باقات الزهور الّتي أرسلها ممثلو فرع الحزب والمحافظ والهيئات الرسمية في اللاذقية إلى المقبرة الجماعية الّتي أعدّت لهم.

٤. **أسيرات ريف اللاذقية، أسرى أعزاز (السبت ٢٠١٣/١٠/١٩)**: بادل النظام خلال الشهر المنصرم المختطفين اللبنانيين التسعة لدى «عاصفة الشمال» بـ ١٥٤ معتقلة لديه، في تكرار لمشهد «الصفقة الإيرانية» بكل أبعادها الخسيسة. وبالتزامن مع إبرام النّظام للصفقة اللبنانية، قام برفض صفقة تهدف إلى حل قضية النساء والأطفال المختطفين في ريف اللاذقية بعد ما سمي بـ «معركة تحرير الساحل». حيث استطاعت جهة تعمل في إطار المجتمع المدني الاتفاق مع الخاطفين في ريف اللاذقية على إطلاق المختطفين مقابل إطلاق سراح ١٦ معتقلة في سجون النظام. رفض النظام العرض السابق بشكل كامل ليتبيّن لاحقاً أنّه يدّخر الفتيات السوريات المعتقلات لديه للمفاوضة على الأسرى اللبنانيين دون غيرهم لتبقى قضية المختطفين في ريف اللاذقية بلا حل.

٥. **اعتقال من ينال من هيبة «الشبيحة»**: لم يسلم الكثيرون ممن تولوا مهمة «التصدي للمؤامرة»، ودعم السيّد الرئيس في مسيرة «الإصلاح» من بطش أجهزته الأمنية حين أخذتهم حماسة «النقد البناء» ليتجاوزا الحدود المرسومة لهم. حيث قام فرع الأمن العسكري بطرطوس يوم الجمعة ٢٠١٣/١٠/٢٥ باعتقال الشاب «صالح سليمان» أدمن صفحة «شبكة أخبار الحمرات–حي الغدير» المؤيدة على خلفية نشره لصورة «سليمان هلال الأسد» وهو يقطع إحدى الطرق بسبب فتاة أعجبته. ويذكر أنّ الشاب كان قد تعرّض لتهديدات عديدة من شبيحة هلال الأسد، انتهت باعتقاله دون أن يشفع له تاريخه الزاخر بحب الوطن والقائد.



سليمان هلال الأسد يقطع الطريق بسبب فتاة أعجبته

لا تمثّل هذه الأفعال إلاّ غيضاً من فيض، لتبقى قصص أخرى كثيرة حبيسة ضحاياها الّذين مازالوا يخشون الحديث عنها أو الاعتراض على مظلوميتهم مدّعين أنّ هذا التغاضي مردّه الحرص على الوطن في ظلّ هذه الهجمة الشرسة عليه. بينما للثوار على المقلب الآخر وجهة نظر مختلفة تماماً تجلت في حرص الكثير منهم على ثورتهم –بالرغم من تعثّرها– من حيث نقدهم الدائم لها، وحرصهم على عدم الخنوع لتيار أو جهة تريد تشويه قضيتهم، ودفعوا في سبيل ذلك شهداءً إضافيين وآلاف المعتقلين في سجون النظام، ومئاتٍ آخرين في سجون أشباهه الجدد.

لو حرص «المؤيدون» كذلك على القضايا النبيلة الّتي يدّعون حملها، ورفضوا كلّ هذه الجرائم الّتي ترتكب بحقّهم أو باسمهم، لتعرفوا عن قربٍ أكثر على النّظام الّذي يؤيدونه ووفروا على هذا الوطن الكثير من الدماء.


أهالي المعتقلين المفرج عنهم في الصفقة الإيرانية ينتظرون في الثلج



أكاليل الزهور التي أحضرها المسؤولون بعد تكسيرها من قبل أهالي الشهداء الغاضبين



اقتحام قرية المتراس: القصة الكاملة

تقع «المتراس» في أقصى شرق محافظة طرطوس إلى الغرب من «وادي النصارى» في محافظة حمص، وهي قرية صغيرة تتبع لريف منطقة «صافيتا» ويقطنها حوالي ٥٠٠٠ شخص ينتمون إلى «التركمان»، يكسب معظمهم رزقه من خلال الزراعة وتجارة الفحم.

لموقع القريّة حساسية خاصة لوجودها في أرياف «صافيتا» ذات الأغلبية العلوية، وقربها من منطقة «وادي النصارى» ذات الأغلبية المسيحية، وبلدة «الحصن» الّتي تشهد منذ عامين معارك وحملات عسكرية ضارية. وكانت القرية قد استقبلت قرابة ٢٥٠٠ نازح معظمهم من حمص و تلكلخ و الحصن و بقية المناطق المحيطة.

بالرغم من تعاطف أهل القرية مع الثورة السّورية منذ بدايتها إلا أنّ الوضع الخاص للقرية أدّى إلى عدم قيام حراك ثوري منظم فيها باستثناء تظاهرة مبكرة عقب اقتحام الشبيحة لقرية «البيضا» في بدايات الثورة بتاريخ ٢٠١١/٤/١٥، أعقبتها تظاهرات خجولة كان أبرزها تظاهرة خرجت بتاريخ ٢٠١٢/٤/٣٠ على خلفية تشييع أحد أبناء القرية الّذي كان جندياً في الجيش النظامي وقضى تحت التعذيب بسبب رفضه الأوامر، قوبلت هذه المظاهرات بحملات لاحقة من التضييق والاعتقالات.

«المتراس» تحت الضوء:

تعرضت القرية منذ اندلاع الثورة للكثير من المضايقات، كما تعرض أهلها لمعاملة سيئة على الحواجز، وطالت شبابها حوادث كثيرة من الاعتقال التعسفي.

بدأت الأنظار تتوجه نحو «المتراس» مع حدوث جريمة شنيعة استهدفت إحدى عوائل القرية بتاريخ ٢٠١٣/٩/٩، حيث قام مسلّحون يعتقد أنّهم ينتمون لإحدى الميليشيات الموالية بقتل عائلة تتألّف من أب وأم وطفلين كانوا يعملون في مزرعة في قرية «تنورين» المجاورة. أثارت هذه الجريمة البشعة قلق أهالي القرية وازدادت مخاوفهم بأن يلقوا مصيراً مشابهاً لمصير قرية «البيضا».

وبتاريخ ٢٠١٣/٩/٢٨، حدث انفجار غامض الأسباب في أحد منازل القرية. أعلنت وسائل إعلام النظام وشبكات الأخبار المحلية الموالية بعدها أنّ هذا الانفجار وقع في مستودع للعبوات الناسفة الّتي كان يتم تجهيزها في القرية، وأضافت أنّه أدى إلى مقتل أجانب تعدّدت الروايات إذا ما كانوا أردنيين أو سعوديين أو شيشان.

ونذكر أنّ «سنديان» تواصلت مع شهود عيان من أهالي القرية، أفادوا بأنّ المنزل كان مكاناً معروفاً لاجتماع عدد من الناشطين المحليين في القرية، وبأنّ التفجير نتج عن عبوة ناسفة زرعها أحد عملاء النظام لتبرير الهجمة اللاحقة على «المتراس»، كما نفوا بشدة جميع الشائعات الّتي ادّعت مقتل أجانب في التفجير، مؤكدين أنّ التفجير أدّى إلى مقتل ثلاثة من شبان القرية. وفي ظل التعتيم والطوق الأمني المفروض على العمل الصحفي في المنطقة، من شبه المستحيل التحقق بشكل قاطع من الروايات المتضاربة حول سبب هذا الانفجار.

بدأت بعد ذلك حملات تحريض ممنهجة على وسائل الإعلام المؤيدة ووسائل التواصل الاجتماعي ضدّ «المتراس»، حيث عمد النظام إلى نشر إشاعات تفيد باستعداد متطرفين إسلاميين من «جبهة النصرة» للدخول إلى «المتراس» بالتعاون مع سكانها لجعلها قاعدة انطلاق لارتكاب العمليات والمجازر بحق القرى الآمنة في الساحل، كما بدأت تظهر دعوات التعبئة المحليّة لمواجهة هذا الخطر الداهم. و من الجدير بالذكر أنه خلافاً لما تناقلته وسائل الإعلام المؤيدة بأن المتراس تشكل مصدر خطر لمحيطها، فإنه لم تسجل أية حالة إساءة من أهالي القرية لأحد من جيرانها.

مع تصاعد الحملات الإعلامية، بدا واضحاً لأهالي المتراس أنّ دخول «جيش الدّفاع» إليهم بات وشيكاً، فتمّ الاتفاق والتنسيق من قبل وجهاء القرية و»لجنة المصالحة الوطنيّة» على أن يتمّ تسليم جميع العساكر الّذين تركوا الجيش وبقوا في المتراس مقابل ألا يسمح باقتحام القريّة وخاصةً من قبل «جيش الدّفاع» سيء الصيت والسمعة، علماً بأنّ هؤلاء العسكريين هم من أهل القرية وكانوا قد التجؤوا إليها فراراً من الخدمة في الجيش النظامي دون أن يمارسوا سابقاً أيّة أعمال حربية فيها.

الاتفاق لم يمنع الاقتحام:

في ليل الجمعة ٢٠١٣/١٠/٤، وبينما كان العسكريون يحضّرون أنفسهم لعملية التسليم، قام مجهولون باقتحام أطراف القرية ومداهمة أحد البيوت وإطلاق النار على أحدهم مما تسبب بمقتله. تلت هذه الحادثة مباشرةً تحركات كبيرة لحشود من الآليات والدبابات وأعداد غفيرة من الأمن و الجيش والشبيحة، لتجري في هذه الأثناء محاولات كثيرة للتواصل مع الجهات المعنية والحرص على بقاء اتفاق المصالحة قائماً دون جدوى.

في الساعة السادسة و النصف من صباح يوم ٢٠١٣/١٠/٥ بدأ الاقتحام المترافق مع تغطية نارية بالهاون والدبابات، فقامت مجموعة من أهالي القرية بمقاومة القوات المقتحمة بالأسلحة الخفيفة المتوافرة لديهم مما أدى لنشوب معارك استمرت لمدة ثلاثة ساعات انتهت مع استسلام المقاتلين من أهل القرية وتسليم العسكريين لأنفسهم منعاً لحدوث مجزرة بحق الأهالي من قبل «جيش الدّفاع». ومن ثمّ تمّ اقتحام البلدة من قبل أعداد كبيرة جداً من المقاتلين والسيطرة عليها والقيام بحملات اعتقال لشبان القرية من المدنيين. وبالرغم من بقاء هويّة مطلق النار على الفارين مجهولة إلا أنّ مصادر من داخل القرية ترجّح أن تكون «اللجان الشعبيّة» التابعة لـ «بشر يازجي» هي من قامت بذلك.

المتراس بعد «التطهير»:

أدّى اقتحام القرية والاشتباكات الّتي سبقته إلى مقتل ١٢ شخصاً من سكانها، و٣ من القوات الّتي نفذت الاقتحام. كما تمّ توثيق احتراق ٥ منازل، وأبلغ الأهالي عن سرقة منازل أخرى و عدد كبير من الدراجات النارية عند زيارة المحافظ للقرية بعد انتهاء العمليات العسكرية.

تمّ تسليم أكثر من ١٠٠ شاب بموجب اتفاق التسوية منهم المدني و منهم العسكري، خرج منهم إلى اليوم ٢٢ مدنياً، فيما تم لاحقاً اعتقال نحو ٣٠ شخصاً آخرين.

مع انتهاء الاشتباكات واستقرار الوضع، بدأ النازحون بالعودة تدريجياً مع توافر الاتصالات والمياه والكهرباء. كما قام الهلال الأحمر– فرع طرطوس بزيارات تفقدية للقرية منذ الأيام الأولى إثر الاقتحام وقام بتوزيع كميات من المساعدات الإنسانية للمتضررين من سكان القرية.

سنديان – تشرين أول ٢٠١٣



الصلاة على شهداء في القرية





صور تبين آثار الحرائق

حرية سلمية مدنية

فضاءات طرطوس ... من المتراس إلى البيضا: تبولة

بقلم: أبو عروة الطرطوسي

يشكل سكان طرطوس نسيجياً طائفياً متنوعاً يقدر كالتالي: علويون ٦٥ ٪، سنة ١٥٪، مسيحيون ١٥٪، واسماعيليون ٥٪. إضافةً إلى تنويعات عرقية من عرب، تركمان، أكراد، وأرمن. وهم متداخلون جغرافياً سواء بالسكن في المدن الكبيرة أو بالتجاور بين القرى، القرى التي نشأت أصلاً من عائلات قليلة العدد متشابهة العادات والتقاليد والنسب والدين والقومية، ثم نمت وكبرت وتواصلت مع جوارها مشكلة فسيفساءً فريداً بتنوعه وغناه.

من أشهر مأكولات طرطوس: البرغل بحمص، المتبلة، والتبولة. ولعلّ التبولة هي الأقرب لخارطتها الديموغرافية حيث يجتمع المختلف ليصنع منه أفضل الأطباق التي تفتح الشهية على الطعام. غير أن هذه التنويعات إن تم العبث بها وأفقدت مكوناتها تناغمها وثقتها المتبادلة سيكون هذا التنوع مصدراً للخوف والريبة، وصولاً إلى القطيعة والاحتراب.

منذ انطلاق الحراك الثوري في سوريا حدث ما هزّ السكون الطافي على سطح المجتمع الطرطوسي، وانتشرت أشكال مختلفة من التعبير عن التضامن مع هذا الحراك، دون الوصول إلى حركة متفاعلة تماماً معه. وتمّ اللجوء إلى تهديد هذا النسيج المتناغم بوحدته منذ الأيام الأولى عبر كسر الاعتصامات التي ظهرت بساحات بانياس والسعي لإغراق حراكها السلمي بالدم وأساطير الكراهية. ونجحت عبر إجراءات العنف غير المسبوقة سواء بالاعتقالات أو الاقتحامات العسكرية، ومن ثم تقطيع أواصر المحافظة بالحواجز والقطعات العسكرية وشبه العسكرية.

ومع تزايد عدد الضحايا القادمين للقرى والمدن تعمق الخوف المتبادل والشك، وتشكلت رابطة غريزية للدفاع عن البقاء اتخذت في الطوائف التي نجح النظام في استعدائها للمجتمع واستعداء المجتمع لها شكلاً عسكرياً فظ الملامح وخشن الأداء، مما أدى لشعور الكثير من أبناء الطوائف التي وجدت نفسها في موقع العداء من السلطة بالدونية من جراء عمليات الدهم والاعتقال والإذلال على حواجز التفتيش، ما أوحى بتصدعات كبيرة بين مكونات المجتمع الطرطوسي . إضافة إلى الموت والقتل والاختفاء القسري ولاحقاً التهجير والنزوح ، كل ذلك شكل حاملاً رئيسياً للفراق والكراهية.

هذا المشهد العام لا ينفي وجود دفاع عن الوحدة المجتمعية وإرادة العيش المشترك ، تجلّى هذا الدفاع بفرق العمل التطوعية لأعمال الإغاثة والأنشطة الثقافية والتوعوية للعديد من المبادرات التي كانت موجودةً وفاعلة قبل اندلاع الثورة وقبل تحول المسارات الثورية نحو العسكرة ودخول الصراعات في سوريا مرحلة من الجنون والعبثية. غير أن هذه المبادرات لم ترقى إلى مستوى حركة مجتمعية مناهضة للعنف وداعية للسلم الأهلي والعيش المشترك، فطرفا الصراع اليوم يسعيان إلى شيطنة مكونات المجتمع السوري ودفعها إلى التنابذ والتصادم ، ليس بين قطبيها البارزين السنة – العلويين (كما جرى في البيضا والبساتين وراس النبع – بانياس، ومؤخراً في المتراس – صافيتا) فقط، بل باتت تهدد التعايش مع المكونات الأخرى، وما جريمة اغتيال عائلة (وطفة) الإسماعيلية إلا واحدة من الجرائم المركبة التي تسعى لتعميق الصراعات المذهبية ونشرها.

ما يزيد الأمر خطورة وجود قرى وبلدات تعيش متجاورة جغرافياً ولكن كل واحدة تبعد مسافات عن الأخرى بطريقة العيش . من بلدات وأحياء تتوفر فيها حرية التنقل والعمل والمسكن والمأكل وأخرى تفتقد لذلك وتعيش بفاقة وحرمان وتضييق، تتعدد هذه الحالات في كثير من المناطق في محافظة طرطوس و لعل بانياس هي الحالة «النموذجية» التي تظهر هذا الاستقطاب و التمايز حيث تعيش البيضا والمرقب والبساتين ما يشبه حالة الاحتلال وفقدان الأمان والعمل وبجوارها الروضة والخراب والرمال الذهبية وباقي المنتجعات السياحية الّتي تعيش حالة ازدهار عمراني واقتصادي وترفيهي . ذات الأمر في جنوب طرطوس حيث تعيش الحميدية والعرب والخربة ظروفاً بائسة اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً لجهة هيمنة مجموعات عسكرية نظامية وشبه نظامية ، بينما تزدهر الأعمال الزراعية والعمرانية والسياحية في جوارهم . الأمر نفسه ينطبق على المتراس وبيت آصلان وغيرها من القرى التركمانية في ريف صافيتا الشرقي التي تزدهر بجوارها الفعاليات السياحية والتجارية في المشتى والكفارين وصافيتا نفسها.

مع هذه الوقائع توحي الأوضاع الطرطوسية بحالة مخاض عسير. بين السعي للحفاظ على هذا التنوع الغني وجعله

حرية سلمية مدنية

مصدراً للجمال والنمو، والسعي الحثيث للهيمنة وإرغام الآخر على الخضوع والخنوع بالاستفادة من فارق القوة والتسليح. مرّ الكثير على هذا الساحل باعتباره واجهة الشرق على البحر، وعبرت جيوش غازية كثيرة هذه الشواطئ وتركت تأثيراتها الثقافية وحتى الجينية فيها، غير أن الشاطئ بقي، ورحل الغزاة، ولو امتد الزمن لبعضهم.

خطورة ما يجري اليوم أنه ما من غزاة ، هم أبناء البلد الواحد وهم جميعاً أصلاء فيه، ولا بقاء لأحدهم بهزيمة الآخر. الأرض والحياة والعمل والحرية هي حق للجميع . وبدون ذلك تتناثر مكونات التبولة الطرطوسية وتتحول من مصدر للفرح والإقبال على الحياة إلى كراهية تخنق فضاءات المستقبل. لا خيار للسوريين عموماً وللطراطسة خاصة، لا خيار لهم إلا الدفاع عن تنوعهم واختلافاتهم وقبول العيش المشترك، وإلا فالخراب والاستبداد – قديمه وجديده – سيهيمن طويلاً ولأجيال قادمة.

ليحل السلام في سوريا، ولتتوقف آلة الموت، ولتزدهر ثقافة الحياة والحرية ، لنتمكن من التمتع بخيرات البلاد ولتحلو السهرات التي تزينها التبولة والعرق البلدي والخرنوب ودبس الرمان.

نقد ساخر

كيف تقضي على «خوف الأقليات» بعشر خطوات؟ دليل المستخدم

بقلم: سعيد علي

«الأقليات خايفين» جملة تتردد كثيراً، الحديث عن حقوق الأقليات لايتوقف، هاجس الأقليات، ذوبانها، ضرورة حمايتها، تحالف الأقليات، تطمين الأقليات .. إلى آخره من مصطلحات وأفكار زرعها نظام يدعي حماية الأقليات منذ عقود!

«الأقليات خايفين»، عبارة تخفي فيها مصالح النظام اللعين ومصالح الغرب الألعن، يحملون الأقليات هاجساً مبالغاً بحجمه، يضعونها في مواجهة الأكثرية ولذلك، ومن باب الحرص على سوريا (كما يقول جماعة «أنا مع الوطن»)، نقدم النصائح التالية للأكثرية:

١. يجب أن يوفر أبناء الأكثرية حواضن خاصة للأقليات وبأحجام مختلفة مع تأمين كافة حقوق الأقليات عن طريق الأنابيب، وتزويد هذه الحواضن بمشعرات حساسة لأي انتهاك لهذه الحقوق.

٢. يجب استبدال الفلكلور والتراث الشعبي في كل المحافظات السورية بمواويل علي الديك ووفيق حبيب (تجدونها عند تسجيلات المحبة – جبلة الكراج الجديد!).

٣. نوجه مناشدة إنسانية إلى أهالي حوران باستبدال جلسات شاي الخمير بجلسات تقرقع المتة.

٤. ننصح أهالي «دير الزور» بافتتاح فرع ثاني لمعمل عرق الريان في «موحسن».

٥. على مقاتلي «داعش» و»النصرة» ارتداء بنتكورات الجينز بدل جلابيب القماش الأفغانية وعليهم «حنجرة» ذقونهم وقص شعرهم «بانكي» وتسريحه «سبايكي» .

٦. على السيد «مأمون الحمصي» أن يتوقف عن تحريض السنة لكي «يهبوا» لأن الأقليات خايفة من هبة تعصف بهم والدنيا شتي وبرد!

٧. يتطلب الأمر من السادة «ميشيل كيلو» و»حبيب صالح» تخفيف طلاتهم الإعلامية لأنّهم – رغم انتمائهم للأقليات– يزيدونها خوفاً.

٨. على القرضاوي إصدار فتوى بأن «العلمانية هي الحل».

٩. على خبراء «الانتقالوجيا» والعدالة الانتقالية طرح مشروع تركيب زمامير إنذار في مناطق الأقليات للتحذير في حالة تكبير أو دق طناجر أو أي حالة عرعرة مباغتة.

١٠. يتوجب علينا مستقبلاً نقل جزء من أهل «جبلة» ليسكنوا في «كفرنبل» وجزء من أهل «الشيخ بدر» ليسكنوا في «الشيخ مسكين» وجزء من أهل «مشتى الحلو» ليسكنو في «الخالدية».

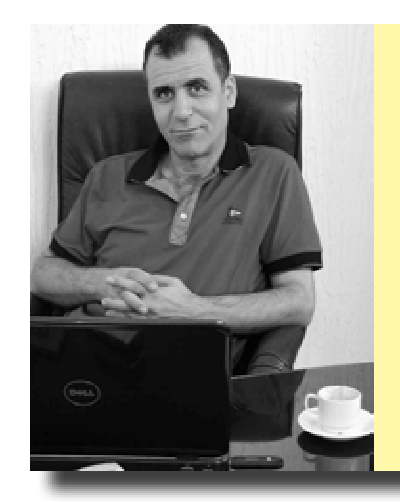
أخيراً، يا أصدقائي، ورفاقي، وأخوتي، العلويون خائفون، والمسيحيون خائفون، والدروز خائفون، والاسماعيليون خائفون، والأكراد خائفون، والسريان خائفون، والشركس خائفون، والأرمن خائفون، ونبيل فياض وأتباع المورمون خائفون أيضاً!، عدد الضحايا يرتفع، والليرة تنخفض، ثمن ربطة الخبز يرتفع، والمازوت ينقرض، والمتأمل بكم يكتئب... أما هذه الثورة – ورغم أن تقاعسكم يجعلها تنحرف– فإنها ستنتصر.

حوار مع راتب شعبو



بانوراما الوطن و الثورة و الساحل

إعداد: نجم



الطبيب والباحث السّوري راتب شعبو:

- ولد عام ١٩٦٣ في مدينة اللاذقية.
- درس الطب في جامعة دمشق.
- اعتقل سابقاً على خلفية انتمائه لحزب العمل الشيوعي.
- يقطن حالياً مع أسرته في اللاذقية.
- له عدّة مقالات و أوراق بحثية منشورة في صحف ومجلات عربية.

أهلاً بك في أفياء السنديان. يسعدنا ويشرفنا حلولك ضيفاً على صفحاتنا للحديث في عدّة محاور ذات علاقة بالشأن العام وقضايا الثورة والساحل السّوري.

المحور الشخصي:

• انكفأ معظم من كان ينتمي لحزب العمل الشيوعي (وخاصة من علويي المولد) عن الساحة السياسية بعد الثمانينات، وأعلن بعضهم عدم إيمانه بالحراك الشعبي الحالي منذ الأيام الأولى، ما السبب الّذي لم يجعل من «راتب شعبو» واحداً من هؤلاء؟

الانكفاء عن النشاط السياسي كان عامّاً في سورية ولا يقتصر على من كان ينتمي إلى حزب العمل الشيوعي، ولا على علويي المولد. عاش المجتمع السوري هزيمةً عامة عقب سحق التنظيم السياسي/ العسكري للإخوان المسلمين، هذا التنظيم الذي شكل ولا يزال خيبة ثقيلة للسوريين، سواء بفكره أو سياساته. وتحت ستار الصراع ضد الإخوان المسلمين استأصل النظام السوري آنذاك كل صوت معارض أكان من اليسار أو من اليمين، أكان سلمياً أو عنفياً، ثم طوّب النظام نفسه سيداً مطلقاً على المجتمع. تلك هي الفترة التي أنتجت تعابير جديدة تعكس مدى الغطرسة السلطوية مثل تعبير «سيد الوطن» و «إلى الأبد». التعابير التي راحت شرائح المجتمع السوري ترددها في تحدٍ صريح للعقل والمنطق البسيط. وكانت تلك الفترة هي التربة التي أنتجت وعمّمت ظاهرة الشبيحة والتشبيح، بما يشبه تكاثر الديدان على جثة. كان المجتمع السوري جثة سياسية.

من جهتي أنا، وعلى خلاف ما يتضمن سؤالكم، انكفأت أيضاً كغيري بعد خروجي من السجن الماراتوني، وعكفت على متابعة دراستي وتحصيلي الثقافي. لم يكن ثمة في البلد ما يشدّ إلى العمل السياسي: قمع شديد ودؤوب ومزاج شعبي مُحبِط.

أما فيما يخص الحراك الشعبي الحالي، فهذا بحث مختلف. الكثير من النشطاء أو السجناء السياسيين السابقين تكلست تصوراتهم ولم تعد مفاهيمهم قادرة على التفاعل مع «إبداعات» الواقع. فحاولوا سجن الواقع في قوالبهم الذهنية بدل أن يتفاعلوا معه. فهم لم يجدوا مثيلاً لانتفاضة الشعب السوري في كاتالوغ مفاهيمهم. وإذا أخذنا في الحسبان الحساسية المفرطة تجاه أي رائحة إسلامية، فبمقدورنا أن نفهم سلبية، أو حتى عدائية، هؤلاء للحراك الشعبي الحالي. وبالمناسبة، لم يكن موقف من قدّسوا الحراك وسلموا قيادهم له، معتقدين أن هذا يجسد الموقف الثوري، بأقل سوءاً وضرراً على الثورة وعلى الناس من موقف أولئك.

• ماتزال تجربة الاعتقال والسجن حاضرةً في داخلك إلى الآن، ما الّذي غيرته هذه التجربة في «راتب شعبو» الانسان أولاً، والمعارض للنظام ثانياً؟

السجن ماض حاضرٌ دائماً في وعي ولاوعي ضحيته. آخر جملة كتبتها في مذكراتي عن السجن (روزنامة المسجون – سيرةٌ سورية) كانت: «خرجت من السجن، فهل يخرج السجن مني». السجن يستوطن ضحيته ويصبح عنصراً دائماً، وأحياناً طاغياً، في ما يمكن أن أسميه الجهاز المعرفي والشعوري للمرء. حين أفتح في الصباح نافذة بيتي واستقبل نسمةً بكر منعشة، تحضرني على الفور ساعة فتح أبواب المهاجع صباحاً حين كنت أخرج مسرعاً إلى الباحة لأتنفس هواء جديداً حراً بدلاً من الهواء الميت المضغوط داخل المهجع. وحين تنتهي إلى أنفي رائحة عفونة ثقيلة، تحضرني على الفور أيضاً، أينما كنت ومهما تكن المناسبة، رائحة الزنزانة التي ما أن تدخل أنف الضحية حتى تحجز لذاتها مكاناً أبدياً في ذاكرته.
أبسط حادثة أو رائحة أو صوت يمكن أن تطلق سلسلة قسرية من التداعيات عند «السجين السابق». نوع من التداعي القسري غير الحر، أو ربما التداعي القسري الحر. رائحة العفونة مثلاً تعيدك إلى تاريخك الشخصي في السجن وإلى الممارسات السادية التي تعرضت لها وإلى التساؤل عن المنطق السياسي أو الاجتماعي أو الأخلاقي الذي يجعل المرء موضوعاً ومادة للعذاب لمجرد أنه يحمل رأياً سياسياً مغايراً، مهما يكن. ثم تتواصل السلسلة قسرياً: ماذا يجري لمن هم اليوم في نفس المعبر الذي مررت به؟ كم ضحية مظلومةً في سوريا تتوق اليوم لرؤية الشمس، تتوق لنسمة هواء، للقمة خبز، لكلمة ودودة، للمسة تعاطف، لرؤية وجه من تحب (ابن، ابنه، أم، أب، اخت، أخ، زوج، حبيب ..الخ)، لسماع صوت الطبيعة، لرؤية امرأة حامل تسير في الطريق، لرؤية أطفال في طريقهم إلى المدرسة.. وتكرّ عذابات روحك دون ضابط، مثل سبحة انقطع خيطها. أبسط عبارة يمكن أن تفتح في مخيلة «السجين السابق» صندوق باندورا مليء بعذابات ظالمة.
كإنسان يجعلك السجن أكثر حساسية لعذابات الآخرين. وهذا يجعلك أكثر رفضاً للظلم من أي نوع، وعلى رأسه الظلم السياسي، أبو المظالم جميعاً. ولا بد من القول إن هذه النتيجة ليست عامة. أعرف الكثير من الأشخاص الذين حطمهم السجن وكسر إرادتهم، وليس في هذا أي غرابة أو استهجان. بالمحصلة هذه إحدى وظائف السجن. دائماً كان يتبادر إلى ذهني أن آخر من يمكن أن يتمرد في سوريا هم سجناء تدمر الذين أكلت أرواحهم القسوة ونخرت إرادتهم.

• أنت تسكن اليوم في اللاذقية، تلك المدينة «الآمنة»، حيث يسود مزاجٌ شعبيٌ طاغٍ معادٍ للثورة. ألا ينسحب هذا المزاج ليصبح معادٍ لك؟ هل تتعرض لمضايقات من قبل الأهالي أو الأجهزة الأمنية على خلفية رأيك أو قلمك الحر؟

هناك ما يستحق التأمل في الحالة الساحلية. في الثمانينات أيام صراع السلطة السورية مع الإخوان المسلمين، بقي للمعارض العلماني احترامه وقيمته الأخلاقية قبل السياسية في أذهان الساحليين. كان النظام في معمعة الصراع مع الإخوان ومن خلفهم «الرجعية العربية»، وكنا نحن اليساريين العلمانيين نصارع ضد النظام أيضاً، ولكن لم يكن لدى الناس عموماً موقفٌ سلبيٌ منّا. على العكس كان هناك تعاطف، وإن يكن غالباً ضمنياً ومستتراً خشية القمع. اليوم تغير الحال بالكامل. اليوم يمكن لأسرة ساحلية أن تتخلى أو تتبرأ من ابنها إذا ما أعلن عداءه للنظام. لا منصة اليوم للمعارض الساحلي ليقف عليها ويقول كلمته. ويتعدى الأمر في الواقع مشاعر الرفض ليصل إلى مشاعر الكراهية.
في ٢٠١١/٣/٧، أي قبل اندلاع الثورة بحوالي عشرة أيام، ظهرتُ على قناة الأورينت بمقابلة هاتفية دامت حوالي عشرين دقيقة. ورغم أن إجاباتي كانت مدورة الزوايا و«عقلانية» إلى أقصى حد ممكن. فوجئت أن ارتكاس الناس كان أشد عدائية تجاهي وتجاه أسرتي من أجهزة الأمن نفسها. قاطع الناس عيادتي (أكثر من مريضة اتصلت وألغت موعد عملية كانت قد حددته مسبقاً)، وتهجم بعض النسوة على زوجتي في صالون حلاقة نسائية في الحي الذي نسكن فيه، وصار للخبر مفعول كرة الثلج، فأصبحتُ شاهد عيان، وأتنقلُ من محطة «مغرضة» إلى أخرى، ..الخ. هستيريا رفض جماعية تحتاج إلى تأمل.
اليوم هدأت الهستيريا قليلاً، وتعقلن موقف الناس أكثر. ولكن، للأسف، جرى هذا بالتوازي مع انزلاق الجزء الأكبر من «المعارضة» (بصرف النظر عن الأسباب والتحليلات ودور النظام في ذلك ..الخ) إلى مستويات سلفية فكرياً وسياسياً، وتخريبية ميدانياً.

• في حال تغيّرت الأحوال العامة في البلد وعادت المناخات السياسية فيه إلى حالة أقرب إلى الطبيعية، هل تفكّر بالعودة

> • كإنسان يجعلك السجن أكثر حساسية لعذابات الآخرين.
> • هناك ما يستحق التأمل في الحالة الساحلية. هستيريا رفض جماعية تحتاج إلى تأمل.
> • لا أفكر بالعودة للعمل السياسي.

بشكل فاعل إلى العمل السياسي كمستقل أو كحزبي؟

لا أفكر بالعودة للعمل السياسي.على الأقل في ظل ما عرفته وتعرفه سوريا من شروط سياسية جعلت العمل السياسي الشريف في بلادنا طريقاً مباشراً إلى السجن والتشريد وربما الموت. العمل السياسي المتاح اليوم ينطوي على تكثيف لكل سلبيات العمل. فهو محل تغلب فيه المزاودات والكيد والأنانيات والاستتباع والحرتقات الشخصية التافهة، أو محل تحترق فيه الضمائر الحية والقلوب النبيلة كما تحترق الفراشات في لهب. لا أعتقد أنني كنت يوماً رجل سياسة بالمعنى الذي تريده السياسة في سورية الحالية. كنت ربما رجل ثقافة أو ضمير أو أخلاق ولذلك داستني السياسة مع أمثالي دون رحمة ودون أدنى شعور بالذنب. السياسة في الشروط السورية السابقة والحالية هي مجال طارد للصالحين، من لا يبتعد طوعاً، يُبعد قسراً أو يفسد.

أما حين تعود لسورية مناخات سياسية أقرب للطبيعية، أي حين يتراجع القمع السياسي، فربما يغريني العمل السياسي حينها.

• اليوم أو في قادم أشدّ سواداً، هل يفكّر راتب شعبو بمغادرة اللاذقية أو سوريا؟

لا أفكر بمغادرة سوريا، أشعر أنني لا استطيع العيش خارجها رغم كل شيء. أعني رغم أن التركيبة السياسية الفاسدة المزمنة في سوريا جعلت مني منذ بداية وعيي شخصاً ناقص المواطنة والحقوق، لأنني كنت ذا ميول معارضة، وإن يكن دون تنظيم محدد. مثلاً درست الطب في جامعة دمشق (طمعاً بمستواها العلمي والسريري الأفضل قياساً على جامعة تشرين الحديثة العهد حينها) وحُرمت بإصرار، ولسبب سياسي لا يخفى على لبيب، من السكن في المدينة الجامعية هناك رغم كل محاولاتي. ورغم أن بطاقات السكن الجامعي يومها كانت مبذولة بسخاء على الطلاب البعثيين والموالين، بمن فيهم حتى الطلاب الدمشقيين الذين كانوا يحصلون عليها لغرض اللهو لا أكثر. واليوم لا أزال مجرداً من حقوقي المدنية على الضد من القوانين والقواعد، دع جانباً الأخلاق التي لا مكان لها في المجال العام عندنا. ولا يزال دفتر العائلة الخاص بي يحمل على غلافه الخارجي وبالقلم الأحمر «مجرد مدنياً»، هذا الدفتر الذي لا يحمل اسمي فقط بل يحمل اسم زوجتي وأولادي ويجبرهم على تحمل تبعات «رأيي» السياسي حيثما اضطروا إلى إبرازه في المدارس أو في الدوائر الحكومية. أقول رغم كل ذلك، أشعر أن قلبي لا يصلح للعيش خارج سوريا. وحين يبقى قلبي في سوريا الكئيبة المغبونة فإنه يتنفس، لكي يستمر، الأمل بدلاً من الحرية. الأمل بقيود أقل وفضاء أوسع في مستقبل أرجو أن يكون قريباً.

قضايا الثورة والمستقبل السّوري:

• اليوم، عندما تكون العمليات العسكرية وماتفضي إليه من تقاسم السيطرة هي الحدث الأبرز، هل هناك من سبيل أمام الشباب المدني غير المسلّح للتأثير في المستقبل السّوري؟

العمل المسلح طارئ مهما طال به الزمن. الأمل معقود على العمل المدني غير المسلح. إنّ قَدَر العمل السلمي المدني والثقافي هو أن يرمم ما تخربه الأفعال العسكرية في النفوس. دائماً هناك سبل أمام الشباب المدني غير المسلح، يتعين عليهم خوضها وتحمل مسؤولياتها. العمل المدني ملازم للمجتمع بصورة حتمية، على خلاف العمل العسكري الطارئ دائماً. اليوم يتجلى العمل المدني البنّاء بأشكال شتى: الإغاثة، الإعلام، الفن، الكتابة ..الخ. والغلبة النهائية لهذا النوع من الأنشطة والأعمال مهما طال الزمن ومهما بدا الواقع معانداً لهذه النتيجة.

> • لا أفكر بمغادرة سوريا، أشعر أنني لا استطيع العيش خارجها رغم كل شيء.
> • العمل المدني ملازم للمجتمع بصورة حتمية، على خلاف العمل العسكري الطارئ دائماً.
> • الباب الذي فتحه السوريون بإرادتهم المدهشة وأرواحهم ما عاد يمكن لأحد أن يغلقه.

• في ظل المآلات الّتي آلت إليها الأمور، هل نستطيع القول أنّ «ثورة الحريّة والكرامة» فشلت؟

يوجد في سورية ظلم سياسي قديم، ينجم عنه وجود شريحة من الناس فوق القانون، وحين يصبح القانون مداساً لفئة من الناس، يصبح الناس غير آمنين على كرامتهم أو على أملاكهم، هذا واقع قلق مرشح للتغيير. حين تتشكل فئة من الناس (الشبيحة) تحتمي بالدولة لتعتدي على الدولة في الوقت نفسه، هذا يعني أن ثمة خلل كبير لا يمكن أن يستمر. صحيح أن ثورة السوريين انحرفت وسيطر عليها قوم لا علاقة لهم بالثورة من قريب أو بعيد، غير أنّ الواقع السياسي في سوريا بات على جدول التغيير بدون شك، ولا يملك أحد القدرة على كبح التغيير فيه. وربما من حسن الحظ أنّ أبسط تغيير في الأنظمة الشمولية يقود إلى تداعيات تولد المزيد من التغيير، حتى يتفكك مجمل النظام. من جهتي أقول إن «ثورة الحرية والكرامة» لم تفشل، لكنها تعثرت، والباب الذي فتحه السوريون بإرادتهم المدهشة وأرواحهم ما عاد يمكن لأحد أن يغلقه.

• ماوجهة نظرك في القضيّة الكورديّة؟ وهل تتخوّف من إقامة حكم ذاتي كوردي في المناطق الشمالية الشرقية لسوريا؟

العلاقة الكردية العربية في سوريا مليئة بانعدام الثقة، إن على المستوى الشعبي أو على المستوى الرسمي. يعاني الأكراد السوريون ظلماً قومياً صريحاً. وإذا كان من المفهوم والبديهي أن تمارس سلطة يقودها حزب قومي «حزب البعث العربي الاشتراكي» اضطهاداً قومياً ضد الأكراد، فمن غير المفهوم هذا الجفاء العربي الكردي على مدى عقود. العرب السوريون أداروا ظهرهم لمظالم الأكراد القومية، وغالبية القوى الكردية بادلوهم بإدارة الظهر للمظالم السياسية التي يتعرض لها السوريون العرب. هناك «انفصال قومي» بين العرب والكرد في سوريا رغم القمع الذي يدمجهم تحت يد مستبد واحد لا عقيدة له سوى الاستبداد. وقد كانت الانتفاضة الكوردية في ٢٠٠٤ امتحاناً للعلاقة بين القوميتين. فشل العرب السوريون في مناصرة الأكراد الذين تعرضوا لقمع شديد دون أي مناصرة شعبية من جانب العرب السوريين. كما فشلت الثورة السورية الراهنة، بعد التحولات الإسلامية المتطرفة التي طرأت عليها، في خلق «الأخوة بين الشعبين». والعلاقات على المستوى الحزبي أكثر سوءاً. نحن أمام هدر فرصة سانحة لتعزيز العلاقة بين القوميتين.

للشعب الكردي أن يقرر ما يناسبه من حلول ويشعره بخصوصيته القومية وحريته، وإذا كان لي أن أقترح فأنا أجد أن الاستقلال الذاتي الإداري هو الحل الأنسب للقضية الكردية في سوريا.

> • للشعب الكردي أن يقرر ما يناسبه من حلول ويشعره بخصوصيته القومية وحريته.
> • إما مستقبل وإما داعش وجبهة النصرة.
> • التمثيل السياسي للشعب السوري خذله وزاد من أعباء التغيير.

• أين ترى «داعش» و»جبهة النصرة» في المستقبل السّوري؟

إما مستقبل وإما داعش وجبهة النصرة. لا أرى لهما وجود في مستقبل سوريا. المكان المناسب لهذا الفكر المهزوم والمسكون بنزعة الانتقام العدمي من العالم هو الكهوف.

• إلى أيّ حدّ يمكن للسوريين التعويل على مفاوضات يمثّلهم فيها نظام دموي اقتتات على جثثهم، وهيئات سياسية معارضة فاشلة ومتناحرة لاتقيم وزناً في كثير من الأحيان لحياة ومستقبل من تفاوض باسمهم؟

بالفعل الشعب السوري مبتلى بممثلين سياسيين لا يمثلونه. الثورة السورية خلقت ما يمكن أن أسميه (القضية السورية). بمعنى أن التطلعات السياسية للشعب السوري وصلت بفضل صمود الشعب السوري إلى مستوى «الحق العام» الذي لا يمكن لجهة أن تفرط به. دفع الشعب السوري ثمناً باهظاً حتى الآن ليتحرر من شكل حكم استبدادي يشبه السرطان. لا يمكن لقوة سياسية بعد الآن أن تصادر حق الشعب السوري في الحرية. لا من جهة النظام ولا من جهة المعارضة. هذه حقيقة قادرة على تفجير أي «تسوية» لا تصل إلى مستوى طموح هذا الشعب الباسل. الحقيقة أن التمثيل السياسي للشعب السوري خذله وزاد من أعباء التغيير. شخصياً لست متفائلاً من جنيف الثاني. ولكن نريد أن نجد ضوءً ولو طفيفاً في آخر هذا النفق الرهيب، وقد يشكل جنيف الثاني بداية ما.

• يذهب البعض إلى أنّ النظام أنهى اللعبة الدوليّة اليوم، وبتسليمه الكيماوي افتتح مرحلةً جديدةً من الصراع عاد فيها ليكون الأقوى الّذي سيحاول إعادة الجميع إلى حظيرته، هل من الممكن أن تعود سوريا إلى المملكة الأسدية؟ كيف ستكون الأمور إن عادت؟

سوريا خرجت عملياً من المرحلة الأسدية، وهي اليوم تعاني آلام البرزخ. شخصياً لا أحمل أوهاماً بشأن المستقبل. أعلم أن شروط الديموقراطية الفعلية غير متوفرة، وأعلم أن أمام سوريا سنوات ثقيلة من إعادة الإعمار. غير أن التأبيد سقط بلا رجعة. وفكرة التعامل مع سورية كملكية خاصة لفئة حاكمة، سقطت بلا رجعة. لا شك أن من نهبوا البلد لسنوات طويلة وراكموا ثروات هائلة سيكون لهم طرائق شتى في العبور إلى مراكز القرار السياسي في البلد، هذا ما لا أحمل وهماً بشأنه، لكنهم سيعبرون إلى القرار السياسي وفق آليات قانونية. وهذا يشكل خطوة نحو بناء دولة قانون يطمح إليها السوريون منذ زمن بعيد. دولة القانون يمكن أن تسمح بنمو مجتمع مدني من شأنه توسيع فضاء الحريات العامة والخاصة.

مرحلة الانتقال هي مرحلة صراع، مرحلة عويصة دائماً ومضطربة وتحتاج إلى إدارة وحزم وحكمة. وسنجد من يعيق ومن يخرّب، وسنجد كالعادة من يستند إلى مشاكل هذه الفترة كي يقول إن الوضع السابق كان أفضل، وكي ينشر الإحباط بين أبناء الشعب السوري.

لا أؤمن أن سوريا يمكن أن تعود إلى «المملكة الأسدية» كما تقولون، ولا أريد أن أتخيل هذا.

الساحل السّوري وسنديان:

• تناولت «علاقات الجماعات الأهلية في الساحل السّوري» في ورقة بحثية نشرت منذ قرابة الشهرين، وفي نفس الوقت شهدنا اعتداءات طائفية غير مسبوقة في عدّة مواضع منها «البيضا» و «رأس النبع»، ومؤخراً ريف «اللاذقية» وقرية «المتراس» في ريف طرطوس.

باعتقادك، هل تفرض أوضاع الساحل بقاء هذا «الصراع» محدوداً في مناطق ريفية صغيرة، أم أنّ احتمال تحوّله إلى نزاع أهلي محلي يشمل كافة مناطق التماس في الساحل يبقى قائماً؟

الدراسة التي تشيرون إليها تكشف مدى قوة التصورات قياساً على الواقع. وهذا جزء مهم من تعقيد لوحة الصراع السوري اليوم.

هناك تصور عام في سوريا يعتبر إن «النظام علوي»، بناء على معطيات معينة، وهي معطيات قاصرة على كل حال. هذا التصور ينعكس في أذهان غالبية العلويين على شكل تباه ما، فيتولد لديهم تصور تماهٍ بالنظام، على الرغم من مجافاة الواقع لهذا التصور. إنه تماه مثير للشفقة. التجسيد النموذجي لهذه المفارقة تجده في أسرة علوية تعيش تحت خط الفقر، وتضع صورة الرئيس في صدر البيت.

التصورات الخاطئة هي ما تجعل الفقراء يدافعون عن بؤسهم. هذا، عطفاً على سؤال سابق، يقود إلى أهمية العمل المدني السلمي (إعلام، ثقافة، فنون) الذي يستهدف هذه التصورات المشوهة.

شهد الساحل محاولتي اختراق، الأولى في مدينة الحفة ومحيطها منذ أكثر من سنة، والثانية في الريف الشمالي للاذقية في أوائل آب الماضي. هذا إذا لم نذكر مجريات المواجهات التي جرت في حي الرمل الفلسطيني وانتهت إلى سيطرة الجيش النظامي على الحي، مع تسهيل هروب عدد كبير من مسلحي الحي كما تناقلت الأحاديث في حينها، نقلاً عن أشخاص ميدانيين جديرين بالثقة.

المهم، أن تفاصيل المحاولتين تغريان المرء بالقول إن النظام تساهل مع مسلحي «المعارضة» (أضع المعارضة بين قوسين لأن هناك قوى تنسب نفسها إلى هذا الإطار وهي لا صلة لها به بل هي أقرب إلى النظام منها إلى المعارضة). إذ لا يعقل أن تبدو استعدادات الكتائب المسلحة للعيان لمدة أيام أو حتى أسابيع وأن تظهر تهديداتهم على مواقعهم على النت ومع ذلك لا يحرك النظام ساكناً إزاءها، ثم حين يبدأ هجوم المسلحين يبدو وكأن قوات النظام بوغتت! هكذا يقول المنطق بعيداً عن المعلومات. يساند هذا التحليل أن للنظام مصلحة في ترك أهالي الساحل تحت الشعور بالخوف من مسلحين جاهزين لكل أنواع الفظائع. وفق هذا التحليل يبدو أنّ ما جرى في الحفة وفي ريف شمال اللاذقية مرشح للتكرار بين حين وحين.

أما في المدينة فالأمر يختلف. الأمور في المدينة، إذا اندلعت فيها مواجهات، يمكن أن تخرج عن السيطرة وتؤدي إلى كارثة لا يشبهها شيء مما حدث حتى الآن. هذا أمر يدركه الطرفان. والأهم أن الأهالي يدركونه أيضاً. من الواضح أن المسلمين السنة في اللاذقية غير راغبين بأن يحتضنوا أي فصائل مسلحة في أحيائهم. فما جرى في بقية المحافظات يشكل رادعاً عن مثل هذا التفكير. ولا يبدو أيضاً أن العلويين ميالون للدخول في مثل صراع كهذا. وقد كان من اللافت ومن المؤشرات الإيجابية أن العلويين لم يقوموا بأي رد فعل على الجرائم التي ارتكبها «مسلحون إسلاميون متطرفون» في قرى علوية في شمال شرق اللاذقية، كان منها خطف، وربما قتل، أحد مشايخ العلويين المعروفين.

> • النظام تساهل مع مسلحي «المعارضة» في الساحل.
> • الشرح السياسي واقع ملموس يحتاج إلى نقد وليس إلى توجيه اللوم إلى الكتل البشرية كما درج الكثير من الناس، بمن فيهم مثقفون.
> • كما حدث الشرخ وتعمق يمكن استعادة اللحمة بآلية معكوسة.

من جهتي أستبعد اندلاع صراع طائفي في الساحل بعد الآن. لكن يجب أن نقول، إن بمقدور أي طرف مسلح أن يقدم على استفزازات طائفية يمكن أن يتولد عنها ردود فعل، بما يعني أن اندلاع مثل هذا الصراع سيكون عملاً موجهاً من جانب جهات قادرة. وأرجو لوعي أهل الساحل أن يُبطل سُمّ مثل هذه الجهات.

• كيف تتصوّر عودة اندماج الساحل المنقطع عن الحدث السّوري منذ سنتين في أيّ عمليّة سياسية قادمة لا تتضمن وجود النظام؟

بالفعل نتج عن الثورة السورية شرخ سياسي بين السوريين يسير، في جزء منه، على خط انقسام مذهبي. وهذا توافق خطير. مع الوقت، وتزايد عدد الضحايا، حمل هذا الشرخ السياسي شحنة نفسية وتحول إلى شعور بالكراهية المتبادلة. الإجرام الذي تمارسه الأطراف الفاعلة على ضفتي الصراع عزز الشرخ والكراهية بين الجمهورين. كل طرف يركز على إجرام الطرف الآخر ليبرر إجرامه. صار الضحايا السوريون مادة للتشفي المتبادل. هذه مأساة مستقلة بذاتها. وراح إجرام كل طرف يدفع جمهور الطرف الآخر للالتفاف حوله أكثر. حلقة شريرة استهلكت الوطنية السورية الهزيلة أصلاً،

حرية سلمية مدنية

واستهلكت حتى الحس السليم عند السوريين. هذا واقع ملموس يحتاج إلى نقد وليس إلى توجيه اللوم إلى الكتل البشرية كما درج الكثير من الناس، بمن فيهم مثقفون.

هل يمكن لأهل الساحل أن يستعيدوا اندماجهم بالكتلة السورية الكبيرة، أقول كما حدث الشرخ وتعمق يمكن استعادة اللحمة بآلية معكوسة. ولكي يتحقق ذلك لا بد من توفر شرطين: الأول هو أن لا يتكرس هذا الشرخ في انقسام فعلي للبلد (وهذا احتمال لا أستبعده رغم أنه احتمال ضعيف)، والثاني أن يتغير النظام السياسي بصورة فعلية. بعد هذين الشرطين سيكون أمام السوريين إعادة بناء بلادهم مادياً ونفسياً كما سياسياً. في عملية إعادة البناء هذه التي تحتاج إلى جهود كل السوريين، يمكن للشرخ أن يندمل وأن تترسخ الأرض المشتركة والانتماء الواحد.

• مع تعاظم حالات الانتهاكات الّتي يقوم بها «جيش الدّفاع» أو سواه من تشكيلات الشبيحة ضدّ «حاضنتهم الشعبيّة» نفسها. برأيك هل من الممكن أن يؤدي التململ العام إلى حالة حراك فعلي وعلني رافض لسياسات النظام أقلّه في هذا الخصوص؟ أم أنّ المجتمع المحلي في الساحل خارج هذا الوارد تماماً؟

ليس هناك وضعٌ أسوأ مما يعانيه اليوم أهل الساحل. جهة تهددهم لأنهم «جماعة النظام»، والجهة التي تنتطح «لحمايتهم» ضد الجهة الأولى، تسرقهم وتستحل ممتلكاتهم. في الساحل يتزيا اليوم كثير من السارقين بزي الأبطال الحماة. إنه توتر تراجيدي بكل معنى الكلمة يعيشه أهل الساحل في هذه الفترة من تاريخ سوريا.

أعتقد أنه لا يمكن أن نرى أي تململ ساحلي، طالما أن هناك مسلحين «على الحدود» يهددون العلويين ويتوعدونهم قياماً وقعوداً. هذا يحيلنا إلى السؤال السابق.

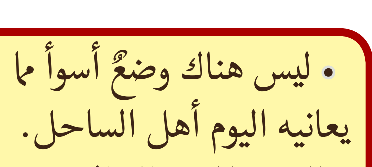
• مضى أكثر من عام على قيامنا بإصدار «سنديان» مجلّة ثورية بنفس ساحلي إن صح التعبير، وضعنا الكثير من المخططات والأهداف، ولم نكن نتوقّع الكثير طبعاً ولكن السؤال الّذي يطرح نفسه: وسط ضجيج الحرب وارتفاع صوت الغرائز الطائفية إلى أيّ حدّ يبقى القيام بمبادرات مدنية «عابرة للحدود الطائفية» مجدياً؟

خشيت في البداية على مجلتكم أن يأخذها «النفس الساحلي» فتتوه عن معنى الثورة. لكنكم، كما لاحظت، نجحتم بالتوازن على سكة ضيقة. يستحق جهدكم التقدير بالفعل.

هناك دائماً جدوى من المبادرات المدنية، ولاسيما «وسط ضجيج الحرب وارتفاع الغرائز الطائفية». العمل المدني الثقافي الإعلامي التنويري هو الرد الناجع على هستيريا القتل والطائفية، هو الترياق الأنسب ضد الشرور المتوالدة من أتون هذا الصراع. العمل المدني بكل مستوياته هو الأمل الوحيد لمجتمع قضت فيه السياسة على السياسة وأحالته قاعاً صفصفاً.

• كلمة أخيرة للسوريين عموماً، أو لأهل الساحل خصوصاً؟

للسوريين أقول: في العلم العسكري يقولون إن العَرَق في وقت السلم يوفر الدم في وقت الحرب. أي إن التدريب في وقت السلم يحفظ حياة العسكريين. ينسحب هذا القول على المجتمع ككل، إن التكاتف والتضامن ومحاربة التجاوزات وإحياء الرابط الوطني والإنساني بين أبناء المجتمع ومحاربة نزعة «كل عنزة معلقة بكرعونا»، هو ما يحدّ من تمادي السلطات ويمنع ظهور المتنمرين و«الشبيحة» ويوفر الكثير من الكوارث الاجتماعية التي تحلّ فعلياً، وبثمن أعلى بكثير، على الأشخاص نفسهم الذين سكتوا على الظلم في فترة السلم طلباً للخلاص الفردي ولراحة البال.



> • ليس هناك وضعٌ أسوأ مما يعانيه اليوم أهل الساحل.
> • العمل المدني الثقافي الإعلامي التنويري هو الرد الناجع على هستيريا القتل والطائفية.
> • النظرة الطائفية التي يُتهم بها «السنة» اليوم تنم عن طائفية المُتهِم.

لأهل الساحل أقول: تباهى الإعلام السوري الرسمي، قبل اندلاع الثورة في سورية، بنتيجة استفتاء عربي تضع الرئيس السوري بشار الأسد مع الأمين العام لحزب الله والرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد في مرتبة أفضل القادة. غالبية العرب هم من المسلمين السنة ولكن هؤلاء في الاستفتاء لم ينظروا إلى المنبت المذهبي للقادة حين اختاروهم. هذا يعني ببساطة أن النظرة الطائفية التي يُتهم بها «السنة» اليوم تنم عن طائفية المُتهِم. لا شك أن هناك طائفيون على ضفتي الصراع، ولكن اللوحة العامة ليست بأي حال لوحة صراع طائفي، بل هو في الأصل صراع على حقوق سياسية، وهكذا يتعين النظر إليه.

وأقول للقائمين على المجلة: يعطيكم العافية





حرية سلمية مدنية



صور من العالم الآخر [١٢]

بقلم: نجم

١

أطفال الأسد:

بالرغم من المشقة والخوف الّذي يرافق مجرّد التفكير بالسفر إلى دمشق، يضطر «أبو يحيى» لاصطحاب وحيده كلّ فترةٍ إلى طبيب في العاصمة بسبب مرضٍ خبيث تجب متابعته ومعالجته. مضت ساعةٌ من الانتظار في ردهة مشفى الأطفال بانتظار دور يحيى المذعور من أصوات القصف الّتي تسمع بوضوح على مدار اليوم في دمشق. تصدر شهقةٌ مكتومة من الصبي الصغير إثر صوتٍ قوي لإحدى المدافع، ثمّ يبدأ بالبكاء. يحاول الوالد تهدئة ابنه ويصرخ فيه: «نحنا رجال الأسد مامنخاف شبنا!». يبلع «أبو يحيى» ريقه بتوتر وهو يشاهد أهالي المرضى المنتظرين يرمقونه بنظرة غريبة.

٢

حيدري–كلازي:

اسودّت الدنيا بوجه «عامر» –طالب الهندسة في جامعة تشرين– بعد أن اكتشف أنّ الفتاة الّتي يحبها «كلازية». بالرغم من أنّ «عامر»، الحيدري الأصل، لايقيم وزناً لهذه التقسيمات العلوية الداخلية إلا أنّه يدرك تماماً صعوبة استمراره مع حبيبته أمام أهله ومجتمعه. يلخص له أحد أصدقائه المسألة بقوله: «صحي نحنا والكلازية هلق صف واحد وقلب واحد وهني أخوتنا وعالعين والراس بس هني بيضلو غيرنا وإنتا بتعرف بشو بيفرقوا عنا، هلق الخطر الأكبر من السنة بس هالشي أبيعني إنو تاخد راحتك وتعشق وحدة كلازية!».

٣

اتحاد الفلاحين:

يستشيط «أبو علي» غضباً وهو يستمع لابن أخيه الّذي يروي له كيف يقوم شبان من «الدفاع الوطني» بقطع أشجار الزيتون كما هي من بساتين في إدلب ومن ثمّ ينقلونها ويقطفون زيتونها ويبيعونه قبل أن تقطّع وتباع حطباً. يلقي «أبو علي» لعناته وشتائمه على هؤلاء المجرمين والسفلة، فبالرغم من وقوفه مع القيادة الحكيمة و الجيش الباسل الّذي يحمي أولاده وأحفاده من الإبادة إلا أنّه، وهو الّذي قضى حياته بين أشجار الزيتون، لا يستطيع أن يتخيّل شعور فلاح عاد ليجد أشجاره قد قطعت وبيعت حطباً. يقول وهو يغادر المنزل:

«قد مايكونو صحابينا أبيسوو، هاد رزق، هاد شقا العمر، هاد ضنا. والله ليجازينا الرب كلنا .. والله».

٤

سذّج الوحدة الوطنيّة:

تنتبج أوردة أحد الناشطين المعارضين على قناة «سوريا الغد» وهو يناشد أخوته العلويين إنقاذ سوريا من الهاوية الّتي تتدحرج إليها والوقوف إلى جانب أخوتهم في الوطن، متعهداً ألا يمسهم أحدٌ بسوء، ومؤكداً أنّ المحاكمات العادلة الّتي ستلي سقوط النظام لن تميّز بين «المواطنين» على أساس الطائفة وستعاقب كل المجرمين و و و ...».

خلف الشاشة، يجلس مثقّف طرطوسي يضحك حتى أذنيه على هؤلاء السذج من «الفوار» الّذين يتخيلون أنّ العلويين بهذا الغباء حتّى يصدقوا ترهاتهم، «لعنكم الله خربتو البلد ياطائفين يا أنجاس، قال حرية قال!» يقولها بكل وطنية ومسؤولية قبل أن ينصرف ليكمل حياته الطبيعية بانتظار انتصار القائد.

٥

ثورة من دم:

لايعلم الناس حولّه أن يكتب في سنديان، بل لا يعلم أحدٌ بأنّه معارض أصلاً، فهو ينتمي لإحدى الأسر المشهود لها بالوطنية حتّى النخاع. والده من وجهاء القرية، أخوه لبّى نداء الاحتياط منذ سنة، اثنان من أبناء عمومته استشهدوا. يترك مقاله الذي لم ينهيه بعد ويذهب لسهرة مع صديق المدرسة الذي يخدم الآن في درعا، يعد تقريراً عن الوضع الانساني في الغوطة ويسأل كل من يتواصل معهم عن صديقٍ آخر مختطف في الغوطة، مازال يشعر أنّه على قيد الحياة بالرغم من أنّ والدته لبست الأسود عليه منذ أكثر من شهرين!

٦

حضارة الشيطان:

«قصمت ظهرنا ياجامع» يردّدها مراراً وتكراراً وسط صمت أصدقائه الّذين بدءوا يتململون من كلّ هذا الحزن الّذي ركب «أبو محمد» بعد تلقيه نبأ مقتل «جامع جامع». يعتبر «أبو محمد» مقتل «جامع» مصاباً شخصياً له هو الّذي كان موظفاً في المنطقة الشرقية لأكثر من ٢٠ عاماً قبل أن يعود وعائلته إلى القرية. يشعر «أبو محمد» بمنّةٍ شخصيّة للقتيل عليه! يكمل رثاءه بذكر مناقبه أمام الحاضرين ليختتم حديثه بالإشارةِ إلى أنّ المغدور كان أشبه بـ «رسول حضارةٍ» للناس هناك ممن لم يعرفوا الحضارة يوماً! فقتلوه لجهلهم وطائفيتهم.

٧

رسوب جماعي:

متل «فؤاد» هنا «متايل»، تقصّد الشاب الرسوب في سنته الأخيرة في الجامعة بدافع الهروب من الخدمة الإلزامية. يفضّل فؤاد أن يضيع سنةً من عمره بلا جدوى، يشرب المتّة ويتابع الأخبار العامة أملاً بتحسّن الأمور على أن يقدّم كامل عمره لـ»الوطن». مع كل جنازة شهيد يشارك بها، يزداد إصرار فؤاد على عدم الالتحاق بالجيش ولو اضطرّ إلى النوم على الأرصفة في أي بلدٍ يستطيع الهروب إليه بعد تخرّجه من الجامعة العام القادم. معظم أولئك الّذين يشبهون فؤاد يندمون ساعة لا ينفع الندم، قبيل استشهادهم بثوانٍ.

٨

«بن جدّو» ينعم بالإصلاح:

السيّد الرئيس –مالئ الدنيا وشاغل الناس– أطلّ على الميادين فكاد العدا وأثلج قلوب مؤيديه وشحذ من عزائمهم وباتوا متأكدين بأنها تقريباً «خلصت». ينقسم الناس هنا حول تفصيل محوريّ وهام في المقابلة، هل كان من الوقاحة من «بن جدّو» أن يقول لسيادته «مين هوي بشار الأسد ليوقف بوش العالم»، أم أنّ ذلك ظهر كبرهان دامغ على سعة صدر سيادته وفتحه لآفاق حريات التعبير في سوريا. تلك كانت النقطة الوحيدة الّتي يتيح «العرف المنحبكجي» أن يتمّ الاعتراض عليها في مقابلة «سيّد الوطن».

الأيام العسيرة

بقلم: نسيبة هلال

في هدوء الليل
لا يأتيني النعاس
كثرٌ مثلي
معدتي تقرقر
تطلب الطعام
و لكن أفكر في إخوتي الصغار الجائعين
وأنسى جوعي
متى سينتهي هذا الكابوس
منذ البارحة طبخت لنا جدتي بعض العدس
مع بعض البندورة
لم أعرف هذه الطبخة لكنني أكلت القليل
وتركت الباقي لإخوتي الصغار
أبي وأمي يصومان كثيراً هذا الأيام ويفطرون
على الماء فقط أحياناً
في مثل هذا الوقت من كل عام
نكون في المدرسة
نعفرت في الفسح
ونشاغب في الحصص
وتبقى لنا لعبة الكرة اليومية بعد الدوام
منذ سنتين لم أعاود الذهاب إلى المدرسة
أحياناً تنتابني الرغبة في الدراسة فأعود لأقرأ
كتب السنة الفائتة
وأتخيل أنني أجلس على مقعدي الأخير
وبجانبي سعد ومحمد
نحل التمارين ونتسابق في الإجابة على أسئلة
الرياضيات
نشاكس معلمة اللغة العربية
نهرب بين الحصص لنشرب
فيضبطنا الموجه متلبسين
ويرسلنا إلى الصفوف وهو يبتسم لشقاوتنا
سعد استشهد
ومحمد سافر
والأيام ماتت
وبقيت أنا أفكر
هل كنا نعيش بسعادة
هل كانت تلك الأيام أجمل أيام حياتنا
وآخرها
أم هناك ما تبقى
هل سأعود إلى المدرسة
لآخذ الشهادة
وأدخل الجامعة
وأصبح طياراً
وأحقق حلمي
أم أنّها الأيام الأخيرة

أسمع حركة ورائي
أرى جدتي تتحرك باتجاهي
تلك المرأة الصابرة التي تطهو لنا أطيب ما
يمكن من بقايا الطعام
دون أن تأكل منه إلا لقيمات كل عدة أيام
تناديني
خالد
أقترب منها
تمسك يدي
تسحبني لتضمني إلى قلبها
أشعر بالراحة في حضن محبتها
تقول:
«لقد أصبحت رجلاً
خلال العامين الماضيين
ستنقضي هذه الأيام العسيرة
وستتذكرها
وأنت تحقق حلمك
و تحلق بطائرتك عالياً».

رثاء الحاجّة سوريّة (٢)

بقلم: ناجد أغاباتشي

في ثنايا الحنين القديم
بحثت طويلاً
ولكنّني لم أجدك ياوطني
السّارية تنتصب دون علم
والأمجاد أناشيدٌ يردّدها الأطفال
في المدارس الإبتدائيّة
ياوطني الغائب
عن صفحات التّاريخ المضيئة
بأهدابنا وعيوننا الصّافية كسماء تموز
نريد أن ننشلك من عصور الجّليد إلى النّور
كمعتقل في سجون النّازية
تلسعني المسؤولية بسياطها كلّ ساعة
لأركض في جميع الإتّجاهات
وأشيّد أعمدة بنائك
كلمة واحدة
ألقيها عليك
وأنت تخوض معاركك على جبهات الحريّة
نريدها أن تكون، ولا شيء غيرها
تلك الحريّة.

***

وصّت سنونوةٌ مهاجرة صغارها:
يجب ألّا نضيع على آخر المفارق .

***

أعتذر للغرباء والأقرباء عن كلّ شيء
إنّني مشغولٌ جداً
عليّ أن أتأكد باستمرار
أنّ أهدافي ماتزال كماهي
متّجهة للحريّة

وعليّ أن أعيد ترتيب قصائدي
بآخر كلّ ليل
بحثاً عن كلمة يبدو منها ودّ للطّغاة،
لأقمعها
يجب عليّ أن أغيّر إسمي كلّ فترة
وعنواني وتاريخ ميلادي ومخابئ دفاتري
ومحو آثاري و صوري من كلّ مكان
وتنبيه الجّميع إلى خطورة الموقف، وحجم
التّداعيات
ويجب الهمس عندما يتناول الموضوع وطني
أو وجعاً من أوجاعه، أو فقيداً من مفقوديه
ياإلهي
إعتقدت لوهلة أنّنا نرتكب جريمة!!

***

منذ فترة كافية للحكم
لم أناقش أحداً
مازالت قضايا وطني، كما هي
دمار الوحدة
وسجون الحريّة
وجوع الإشتراكيّة
ثم إنّ كلّ قضيّة تعرض عليّ بعدها
أقول لها أنّني مشغول.

***

إنّ يوماً من أيام النّزوح
يانسيبة
كفيل بأن يعيد إليّ إنسانيّتي الغائبة
أو أنّ يصبغ أحلامي
بالضّياع والعبثيّة

***

إجتمعوا
وقرّروا الإجتماع مرّةً أخرى.

***

كان صوت عزفٍ على أوتار عود
قادمٌ من الغرفة الأخيرة
وكان خافتاً
أعاد إليّ ذكريات مدينتي البعيدة
جميلٌ هو الحنين، يا دمشق
في مغبّ الأحداث المتسارعة.
لم يكونوا يبوحون بشيء
أنا قرأته في عيونهم
أبنائك عطشى ومتشوقون
للكرامة والحريّة.

***

ألّا أشعر بشيء، تلك هي أكبر جرائمي
والتي أطأطئ رأسي خجلاً منها
أمام أحبّائي
وأمام أعدائي
وأمام التّاريخ.

***

في خريف، وقصيدة ما
ستسقط أوراق الطّغاة الأخيرة
وتمزق الرّايات السّوداء
و تشرق الآمال
حقيقةً وراء حقيقة
الأبد
ضربٌ من الوهم والخيال.

Kinan Kouja

الغائب الأكبر عن صفقة التبادل هنّ النساء والأطفال المختطفات من القرى العلوية على يد الكتائب الطائفية الإسلامية .... لاالنظام السافل سائل عنهم ولا المعارضة السافلة سائلة عنهم ... ولا الموتورين الطائفيين في جمهور الثورة سائلين عنهم ... الحرية لكنّ ولأطفالكنّ

فارس البحرة

لو كان الشعب السوري واحداً لما كانت حاجة للهتاف بذلك

ولو كان الشعب السوري «ما بينذل» لكان الأمر بديهياً وما صار شعاراً

ولكن لو كان الأسد إلى الأبد أيضاً لما ردّد عبيده ذلك

Ali Melhem

من يبيعك السلاح ، يريد أن يعرف و بكل دقة أين ستصوبه .

لا سلاح دون انتماء ، كل البنادق تنتمي لما هو خارج الوطن

Orwa Alahmad

س – أبو حميد !

ع – عيونو ؟

س – مين إلك بداعش ؟

ع – في شب صاحبنا بيتواصل معن .. لازمك شي ؟

س – إلي أخي بدو يفوت عسوريا ..

ع – إي ؟

س – إي بدي تفيّشلي اسمه عند داعش .. إذا مطلوب !

ع – ليش أخوك مؤيد للنظام ؟؟؟؟؟؟

س – لا أخي مؤيد للثورة .

Khawla Dunia

يريد النظام الذهاب الى جنيف، بمزيد من القاعدة والانتصار عليها.

Rasha Omran

طالما هناك سوريون يعيشون داخل سوريا ستبقى سوريا بلدا صالحا للعيش ...لا اظن أن ثمة شخص خرج من سوريا الا وشعر بالندم لمغادرتها ...البعد جفا فعلا احيانا والحياة تجبرك على صناعة تفاصيل يومية هي بمثابة استبدال لحياتك السابقة وتسليك او تنسيك لا فرق ....لن تموت سوريا طالما هناك من يتمسك بها داخلها ...نحن خذلنا انفسنا قبل ان نخذلها ...لا يحق لاحد ان ينعي سوريا طالما ما زال هناك من يصر على الاستمرار بوجوده هناك وابتكار طرق للحياة فيها ..سوريا ليست حجارتها ولا ترابها ولا هواءها ..سوريا ناسها واهلها والصامدون فيها رغم كل شيء .

عماد العبار

الثورة لا تقتل أبناءها .. لكن هناك لقطاء أوجدتهم الصدفة في لحظة قيام ثورة .. هؤلاء هم الذين يقتلون الثورة وأبناءها !

Nawrs Majid

أعتقد أن الجيل السوري يبحث اليوم عن أي فرصة حقيقية لكي يقوم بعمل مفيد للبلد، لكن جيلنا بات مشغولاً بالعمل بقدر كبير، ومهملاً بنفس القدر للتفكير..

أعتقد بأن التفكير اليوم هو المهمة الأصعب، التفكير هو العمل الحقيقي الذي يجب أن نقوم به جميعاً

Yasser Nadim Said

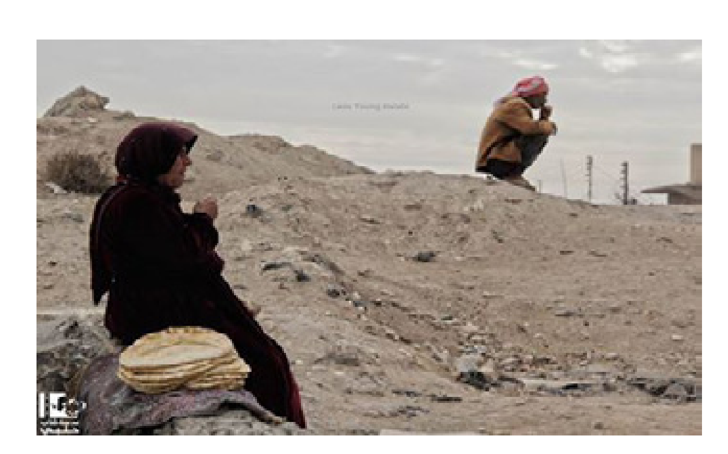
مشكلة الإسلام الجهادي التكفيري أنه لم يترك لله من وظيفة سوى الغفران.



درعا



الرقة



منيج ـ حلب



دوما ـ حفل عيد الأضحى- مركز ربيع الطفولة



مراجيح!



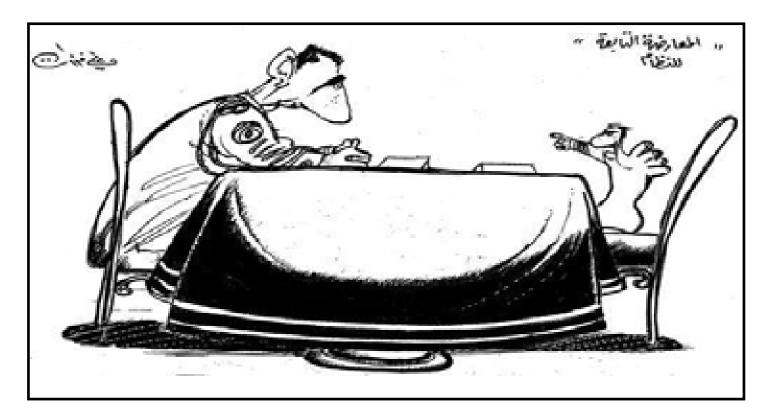
جثة متحللة لطفل في داريا



٢٠١٣/١٠/٠٣: سراقب ـ إدلب

كاريكاتور







غرافيتي



الزبداني

غنية : يا سوريا

(نصير شمه)

كلمات : وائل السمرى

يا سوريا .. دمنا فداك .... فنحن منك وأنت منا

أرواحنا قربان مجدك .... فامنحي للروح معنى

من كل فج خارجين .... ليبرأ الوطن المعنى

لا تحزني يا سوريا .. فالفجر بعد الليل .. طالع

لا تنحني يا سوريا .. فالعدل بعد الظلم .. راجع

لا تخضعي يا سوريا .. فالنصر بعد القهر .. واقع

وجبين شمسك لن يغيب .. وسيشرق الصبح القريب

وستخرجين إلى الحياة .. وتعبرين على المواجع

لا تحزني يا سوريا .. فالفجر بعد الليل .. طالع

لا تنحني يا سوريا .. فالعدل بعد الظلم .. راجع

لا تخضعي يا سوريا .. فالنصر بعد القهر .. واقع

يا سوريا .. دمنا فداك .... فنحن منك وأنت منا

لا تخضعي يا سوريا .. فالنصر بعد القهر .. واقع





٢٠١٣/١٠/٠٤: حلب



٢٠١٣/١٠/٢١: بنش



٢٠١٣/١٠/٢١:جبلة



٢٠١٣/١٠/١١: دوما.



٢٠١٣/١٠/٢٩: الوعر



٢٠١٣/١٠/١١: سلقين



٢٠١٣/١٠/١٨: حلب



٢٠١٣/١٠/١٨: كفرنبل

فائق المير .. سوريا الحرة بانتظارك

الحريّة للعميم

أبو علي .. فائق المير

الحياة الشخصية:

ولد فائق المير في بلدة القدموس التابعة لمحافظة طرطوس عام ١٩٥٤، وفي العام ١٩٧٢ حصل على الشهادة الثانوية العامة، ثم انتقل إلى حلب لدراسة المعهد المتوسط كهرباء التابع لجامعة حلب. عمل بعد ذلك في سد الفرات و لكنّه سرح من عمله عام ١٩٨٣ بناءً على طلب من إدارة الأمن السياسي. وفي عام ٢٠٠٣ انتقل إلى مدينة طرطوس. متزوج من السيدة سمر دخيل من مدينة السلمية، ولداه «علي» خريج جيولوجيا و «فرح» خريجة أدب انكليزي.

الحياة السياسية قبل الثورة

بدأ نشاطه السياسي في بداية السبعينات، أثناء الدراسة ومن ثم العمل في سد الطبقة في محافظة الرقة. حيث كان قد انتمى إلى «الحزب الشيوعي السوري المكتب السياسي»، والذي أسسه عام ١٩٧٢ الشيوعي السوري «رياض الترك». وكان «المكتب السياسي» قد انفصل عن «الحزب الشيوعي السوري» بقيادة «خالد بكداش»، الستاليني الحليف للنظام البعثي. «المكتب السياسي» كان أحد أوائل الأحزاب اليسارية في سوريا الذي دعا علناً للديمقراطية والتعددية، مما أدى إلى حظره من قبل النظام.

الاعتقال الأول له حدث في نيسان ١٩٧٩، حيث اعتقلته المخابرات العسكرية شهراً بسبب توزيعه للمناشير. تلك المدة السريعة في السجن ستكون محض خطوة أولى في رحلة متخمة بالمضايقات والاعتقالات. في آذار ١٩٨٣ طُرد «المير» من عمله في سد الفرات بطلب من فرع الأمن السياسي، بسبب نشاطه. عام ١٩٨٧ تم إنذاره بسبب اشتراكه في حزب محظور، وقد أجبره الإنذار على التخفي بينما كانت ابنته فرح في شهرها الثاني من العمر. وفي النهاية تم اعتقاله عام ١٩٨٩ وحُكم عليه عشر سنوات سجناً. ولم يتمكن من رؤية ابنته حتى ١٩٩٢ في سجن صيدنايا؛ تلك السنوات الخمس العجاف غيّرنَ من شكله لدرجة أن فرح لم تتمكن من ربط وجهه بصورة الرجل المعلقة صورته في المنزل بابا!

«فائق المير»، أو «العميم أبو علي» كما يناديه أصدقاؤه ورفاقه، كان ذا قلب لا يهزّه اليأس وروح عصية على الانكسار. حتى بعد ١٠ سنوات في السجن، لم يضطرب الرجل ولم يتخلّ عن النضال من أجل الحرية والديمقراطية في سوريا. كان مشاركاً نشطاً في «ربيع دمشق»، ذاك الحراك و الجدل السياسي والاجتماعي الذي ازدهر بعد وفاة «حافظ الأسد» عام ٢٠٠٠ وتبخّر سريعاً وانتهى باعتقال عدد من ناشطيه، ومنهم «رياض الترك» و«المير». في ٢٠٠٦، تم اعتقال «المير» مجدداً، هذه المرة بسبب زيارة إلى لبنان قدم فيها التعزية بالصحفي «سمير قصير» والسياسي الشيوعي «جورج حاوي» وكلاهما معروف بمعارضته للنظام السوري. اتُهم بإضعاف الروح القومية ووهن عزيمة الأمة، وهي أشياء يرمى بها أي ناشط ديمقراطي في سوريا. كان ردّ «المير» على التهم الموجة إليه في المحاكمة أن قال «هدفي الحفاظ على الاستقلال الوطني وتحرير الجولان وإنهاء الاستبداد وإقامة الدولة الديموقراطية... إننا مستمرون في معركة الديموقراطية».

«عميم الثورة» في الثورة

بعد كل ذلك، كان من المنطقي جداً أن يكون فائق المير بين الطليعة التي انضمت إلى «ثورة الحرية والكرامة» التي انطلقت في آذار ٢٠١١. يوم انطلقت الثورة، كان فائق المير قد أجبر على التخفي (مرة أخرى) بعدما داهمت قوى الأمن السوري منزله في طرطوس عام ٢٠١٠ وحكمت عليه محكمة في دمشق غيابياً بخمس عشرة سنة. لكن ذلك لم يمنع «المير» من المشاركة الفاعلة في الثورة، فقد شارك في مظاهرات ضد النظام في دمشق وريفها خلال المراحل الأولى من الانتفاضة.

بالإضافة إلى ذلك، عمل عن قرب مع الشهيد «عمر عزيز»، وكان بين قليلين آمنوا ودعموا بحماس فكرته ورؤيته بخصوص تأسيس المجالس المحلية. «المير» كان مع الشهيد «عزيز» حين أبصر المجلس المحلي في برزة/دمشق النور. «شو هالشعب الرائع! شو هالثورة!»، يستذكر «المير» صرخات «عزيز» وهو يشهد المشاركة الشعبية المذهلة في المجلس المحلي في برزة، والسعادة التي طغت عليه مع تحقيق الشكل الأول من الحكم الذاتي في سوريا الثائرة.

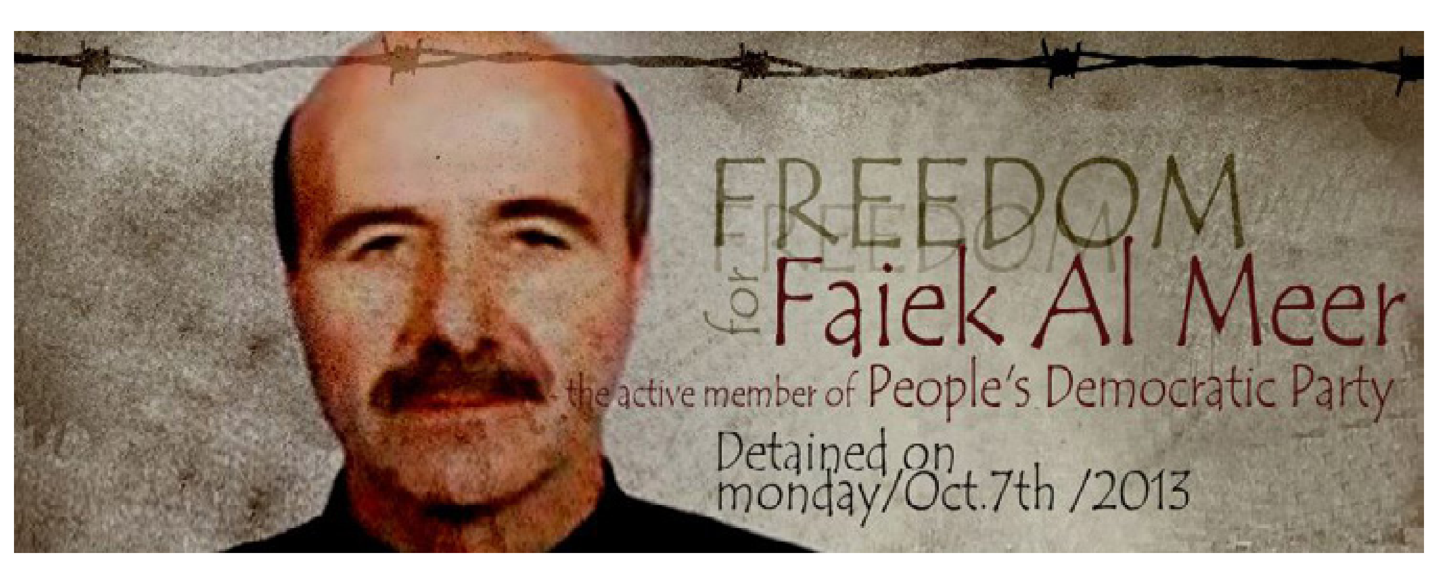
«المير» سيستمر بعد ذلك في تنظيم المساعدات وأعمال الإغاثة في الغوطة الشرقية، التي لا ينتهي حولها الحصار أو عليها القصف. قدرة «أبو علي» على البقاء مفعماً بالأمل والإيجابية حتى خلال أشد اللحظات كآبةً مذهلة وملهمة. أحد أصدقائه المقربين، وهو ناشط شاب، يقول: «رغم أنّه في التاسعة والخمسين، كنا نشعر أن «بوعلي» أصغر منا جميعاً. كان يعاملنا بحنوّ الأب وروح الصديق، ولم يتصرف معنا بفوقية يوماً، ونادراً ما ذكر تجربته في السجون».

اعتقاله الأخير:

في السابع من تشرين الأول ٢٠١٣، اعتقلت قوات الأمن السوري «فائق المير». وأكد مصدر مقرب منه أن الاتصال انقطع معه عند الساعة ١١ من قبل ظهر اليوم نفسه، وكان قد غادر قبل ذلك بقليل مقرّ إقامته في ريف دمشق متوجها إلى دمشق. هذا ويبقى مكان احتجاز «المير» مجهولاً.

الحريّة لفائق المير، عميم الثورة السّورية، وروحها الشابة النابضة بالأمل والعنفوان، الحريّة لجميع المعتقلين في سجون الطاغية، الحريّة لسوريا.







«صوت المعتقلين» من قلب المعتقل

شمس الشمال

ماكتبه الدكتور محمود تحصلدار.. في رثاء زوجته الّتي توفيت وهو في المعتقل:

للمن ستورقُ الأشجار بعدك.. يا حبيبة.
لمن تخرخر السواقي
وترقص الطيور في التلاقي
لمن سيطلع النهار
وترقص الأمواج والبحار
لمن تضيء الشمس في السماء
وتركض النجوم في المدار

لمن تغرد الشوادي
وتلعب الغزلان بالبوادي
لمن ستكتب الأشعار من جديد
وتبسط التهاني في صباح كل عيد
فحين سافرتِ اختفيتِ
كل شيء غيرَ موتي
فهل عساكِ قد عرفتِ
ماحملتِ في الحقيبة
كل شيء غير موتي.. يا حبيبه

لمن ستفتح الدفاتر الحزينة
وتنشر القصائد الدفينة
لمن مواعيدي تنادي
لمن حنيني واتقادي
لمن بساعات انتظاري
لا أمل الانتظار

لمن ستفتح الأبوابُ بعدك.. يا حبيبة
ومن سيملأ الديار
بنوره وعطره
ومن سيأخذ القرار
وهل تُراكِ قد سَرقتِ
من يدي حق القرار

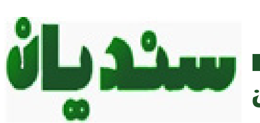
ترفعّي يا شمسُ ساعات الغروب
وأسمعي الآفاقَ آهاتِ القلوب
فالمراكب بالأحبة ذاهباتٌ للبعيد
لن أراهم, لن يروني من جديد
أترَعوا كاساتِ قهري باقتدار
أضرموا في القلب ناراً أيَّ نار
خبؤوا العنوان عني حين راحوا
ساعِدوني إن تلقيتم ندائي
أخبروني في اختتامي وابتدائي
من ترى بالفعل قد أخذ القرار
وأي دهر بانتظاري
وهل يطول الانتظار
****

قد يطل الفجر آتٍ باختجال
يحمل الدفء المرصع للرمال
فيكِ يا شمس الشواطي.. والشمال
أخبريني كم تجيدين الهروب
كم تجيدين التخفي بالظلال
كم تهاوت خلف عينيك القلوب
كم تمنت أن تلاقي بالوصال
كلما آواك ليلٌ
بتَّ في حضن الخيال

ربما أعطيتِ عمراً
ليس يكفيه المقال
كنت للدنيا عطاءاً
ليس يعرفه الرجال
ربما أتعبتِ غيري
غير أني ما أزال
أملأ الآمال منك
في الخوابي والسلال
أخبريني كيف صرتِ
بين حارات الشمال
هل أصاب البرد منك
علةً.. غير أن زاد الجمال
لا تلومي شوق قلبي
إن هفا يوماً ومال
إن تكتّم فهو صبري
وإن تداعَ لا يلام

لو رأى غيري بعيني
ما تورع أن يقال
ويحه بالسجن يبكي
ليشتكي بعد المنال
وحبيبه بالأمس سافر
خلف أسوار المحال
أخبريني يا فتاتي
من له فصل القرار
وهل عساكِ إن توليتِ ارتافتِ
حين تنوين القرار
وأي دهر بانتظاري
وهل يطول الانتظار

حرية سلمية مدنية



مجلّة ربيع:
صوت الأكراد في سوريا الحرّة





Facebook.com/Rabeeh.buhar
twitter.com/Rabeeh_Buhar
Rabeeh.buhar@gmail.com

Buhar

شهرية مستقلة تصدر من كركي لكي | تأسست في: 6 آذار 2013

مجلة «ربيع Buhar» هي أول مجلة شبابية ثورية حرة مستقلة في الثورة السورية داخل المنطقة الكردية، وباللغتين العربية، والكُردية.

لماذا ربيع؟

لكي نرفد ثورتنا السورية بجانبها الإعلامي والفكري، مستفيدين من باب الحريّة التي نفخر بمشاركتنا في فتحه، حتى تصبح الثورة السورية مفهوماً مكتمل الهوية. ننطلق في إضافة زهرة لربيع الثورة الفكرية والإعلامية كشباب اعتنق الثورة في شوارع وميادين الوطن أولاً، ومستعدٌ للاستمرار على طريق الخلاص وبناء سوريا لكل السوريين، سوريا المستقبل الّتي تتطلب تضافر السوريين بكل مكوناتهم القومية والدينية كما هي // مجلة ربيع //Buharالتي تسعى لأنْ تكون منبراً حراً مستقلاً لكل السوريين يتثاقفون بين دفتيها، ويطرح كلّ رؤيته على قاعدة قبول الآخر ورفض تخوين السوري لأخيه السوري.

إلى ماتهدف «ربيع»

تهدف إلى إنشاء منصة حرّة مستقلة وإعلام حر في سوريا، بقصد تنوير الجماهير بالمعلومات الحرة النقية، وتوطيد علاقات الأخوة والصداقة والعيش المشترك بين جميع مكونات المجتمع السوري، وإرشادهم إلى ما يحيط بهم من ثقافة مدنية واجتماعية وصحية. كما نسعى لجعل المجلة المكان الذي يجمع كل الأصوات المختلفة معاً وخلق مساحة متساوية لجميع الأفكار.

الأهم من ذلك، نأمل أن تكون المجلة حجراً من أحجار الزاوية التي تنشر ثقافة المجتمع المدني الحرفي سوريا عموماً، والمنطقة الكردية خصوصاً.

كيف يتم إعداد «ربيع»؟

تعمل ربيع بالتنسيق مع مجموعة من المثقفين الّذين يكتبون بشكل ثابت للمجلة، وهم يعملون كمستشارين لهيئة التحرير كونهم ليسوا شركاء فقط بما يقدمونه من أعمال للمجلة بل يعتبرون شركاء في المشروع بأكمله.

تتم دراسة كافة الأعمال والمقترحات المقدمة من ناشطين ومثقفين يراسلون المجلة لنشر أعمالهم في أعدادها، حيث تهتم هيئة التحرير بجعل ربيع ملكاً لكل من يهتم بها بحيث يكون العمل منفتحاً على مختلف وجهات النظر والآراء.

من يمول ربيع؟

حالياً، لايتم تمويل «ربيع» من قبل أية جهة سياسية أو مدنية، علماً أنّ التمويل من قبل جهات سياسية مرفوض تماماً لأنّ المجلة تسعى للبقاء بعيدةً عن أيّة تجاذبات سياسية. تقوم المجلة بتأمين تمويلها من مجموعة من الشباب داخل الوطن، وتعمل على فتح قنوات اتصال مع جهات مدنية يكون بإمكانها دعم المشروع لضمان ديمومته وتطوره.

عن حلب «البرجوازية الراقية»...

بقلم: باسل الجنيدي - كش ملك

أثناء زيارة خاطفة لمنزلي في الجزء المحتل من حلب لم تدم إلا لأيام قليلة. فاجأني مشهدٌ حدث أمامي خلال أوّل ساعة أمضيها هناك أتفحّص ما تغيّر من ملامح هذا الجزء من المدينة. سيّارة ركنها صاحبها على جانب الطريق ونزل ليشتري «باكيت دخّان» من «سوبر ماركت» قريبة في إحدى المناطق الراقية من المدينة .. تمرّ سيارة متعجّلة يعلو «زمّورها».. تتوقّف خلف السيارة المركونة وتزيد من وتيرة الزمّور مترافقاً مع الصياح .. يلحظ صاحبها أنّ السيارة المركونة خالية .. وبدل أن يناور لتجاوزها .. يستشيط غضباً ويترجّل من سيارته وهو يحمل روسيّة .. ويبدأ تكسيراً بزجاج السيارة المركونة من كلّ الجهات أمام مرأى صاحبها .. ثمّ يعود لسيارته وهو يوزّع شتائمه يمنة ويسرى .. تفهم منها أنّه يحمل «جريحاً» من الجيش في سيّارته وأنّ السيارة أعاقته «بسبب غباء صاحبها» في إيصال الجريح إلى المشفى .. وبكل الحالات يبدو أنّ الجريح لم تكن حالته حرجة كما لاحظت .. إذ كان يتابع الأمر بابتسام !

يسيطر الجيش الحر على أكثر من ٦٠٪ من حلب المدينة منذ عام ونصف، ولم تتغيّر خطوط التماس بشكل كبير طوال كلّ الفترة الماضية. يتبادل «الحر» و«النظامي» السيطرة على مواقع التماس بين القسم المحرّر والقسم المحتل من المدينة بشكل دوري تقريباً.. مع تقدّم بسيط جداً (وبالكاد ملحوظ) للجيش الحر، وبحسب الاستراتيجية العسكريّة التي يعلن «الحر» عن تبنّيها، فإنّه يحتاج للسيطرة على طريق «خناصر» جنوبي المدينة بحيث يغلق طرق الإمداد للنظام حتى يتمكّن من تحرير المدينة كاملة، وبالتالي، فإنّ طريق «خناصر» يشهد هو الآخر كراً وفراً، ينجح الحرّ تارّة في إغلاق كلّ المنافذ وأحكام الطوق على «حلب المحتلّة» والجيش النظامي فيها، ويعود «النظامي» تارّة للسيطرة وفتح طرق الإمداد له وللمدينة.

حلب «الجيش النظامي» هي حلب الغنيّة التي يقطنها الأثرياء ومتوسّطو الدخل. يُفترض فعلياً أن تخلو أغلب شوارعها من «البسطات» و«المتسوّلين» ومظاهر التشرّد، إلا أنّ هذا الافتراض أصبح من الماضي .استنزف هذا الجزء من حلب اقتصادياً بحيث أنّ شيئاً فيه لا يذكّرك بمظاهر الثراء سوى حجارة الأبنية الحلبيّة المعروفة بجمالها والسيارات الفارهة المركونة التي قلّما تُقاد لعدم توفّر مادة «البنزين» وغلائها الفاحش. بين الحاجز والحاجز .. هناك حاجز. مظاهر السلاح تنتشر فعلياً في كلّ مكان بشكل يذكّرك بمناطق حلب «المحررة» سوى أنّ السلاح هنا بأيدي الشبيحة والجيش. هناك جوّ توتّر دائم في الطرقات لا تفهمه دوماً. يتجنّب الناس الخروج بعد الساعة السابعة وتخلو الطرقات بشكل كامل من المارّة في مظهر غير مبرّر فعلياً (من الناحية الأمنية)، إلا أنّ التوتّر السائد لا يجعلك تستبعد حوادث كأن يطلق الحاجز الرصاص على سيّارة لم يعجبه طريقة توجّهها نحوه ليلاً، فيردي من فيها، وهي حوادث سبق وأن حدثت. إضافةً لاشتداد أصوات الاشتباكات في هذه الأوقات أحياناً، وانقطاع الكهرباء وغرق المدينة في ظلام دامس مرعب يجعل الشخص يتردد عشرات المرّات قبل أن يفكّر بالخروج. تحدّثني صديقتي التي تقطن هناك عن تردّي حالة هذا الجزء من حلب يوماً بعد يوم، تصف لي المشهد بملاحظة ذكيّة. إن راقبت العابرين في الطرقات للاحظت أنّهم جميعاً يرتدون ثياباً فضفاضة عليهم. تحوّل الموضوع لشكل من أشكال «الموضة» ربّما، لكن يعود السبب بالأصل إلى أنّ الناس قد خسروا الكثير من الوزن ولا يملكون طبعاً ثمن ثياب جديدة. هناك نقص كبير في الأغذية (وغلاء فاحش في أسعارها) لم يتحوّل إلى مجاعة بقدر ما تحوّل إلى اعتماد شبه كامل على «البرغل» وحرمان كامل تقريباً من اللحوم والخبز. تكمل صديقتي وصف المشهد: صار يسهل أن تجد في الطرقات قطّة نحيلة تأكل العشب أو تقتات على بقايا البرغل، لقد تأقلمت بعد أن أصبحت فضلات المدينة لا تكفيها! لقد احتفلنا في العيد، تعرف إنّي من عائلة ميسورة جداً بالأصل، لكننا نحتفل الآن لأنّنا سنأكل اللحمة في العيد بفعل الأضاحي. أخيراً وبعد شهور من الانتظار !!

مشكلة «مصادر الطاقة» مشكلة أخرى، لا يمكن الاعتماد على «الغاز» الذي إن كنت سعيد الحظ واستطعت جلبه من المناطق المحرّرة بعد أن تدفع غرامة لحاجز الجيش الحر (١٥٠٠) ليرة للجرّة وتمرّ من تحت القناص، فإنّ التكلفة النهائيّة لثمن الجرّة سيصل إلى ١٠ آلاف ليرة تقريباً. ينتظر النسوة مواعيد عودة الكهرباء حتى يطبخن خلالها. أمّا الحاجات الأخرى كالإنارة والتلفاز وغيره فتعتمد بشكل كامل على

«بطاريات السيارة» –إن وجدت– والتي عليك أن تنتظر الكهرباء لتعيد شحنها. إلا أنّ هناك تأقلم واضح تجاه هذه المشكلة وقلّما تلقى تذمّراً. كان غضبي في فترة وجودي من انقطاع الكهرباء وسؤالي للجارة (أين أجد مياهاً ساخنه لاستحم؟) مصدر تهكّم وسخرية، بينما يبدو الأمر أفضل حالاً بكثير في المناطق المحرّرة والتي أوجدت حلولاً دائمة استغنت فيها بشكل كامل تقريباً عن خدمات النظام التي لم تعد تصلها منذ زمن بعيد أصلاً .. اللهم سوى «الماء» ..!

معبر بستان القصر هو الممر الوحيد الذي يصل بين قسمي المدينة. كان في بداية الأمر –قبل عام– يشهد حركة تحرّك يومي لآلاف الموظّفين الحكوميين وطلبة الجامعات من القسم المحرر إلى القسم المحتل، أما الآن فإن الحركة الغالبة هي لعشرات الآلاف التي تعبر بالاتجاه المعاكس؛ من مناطق النظام إلى مناطق المعارضة، وذلك بهدف التبضّع وشراء الخضروات والفواكه وجرات الغاز وأحياناً الوقود والبنزين وما يسمح «حاجز المعبر» (التابع للجيش الحر) بتمريره. وبالطبع فإنّ المرور من المعبر ليس آمناً طالما أنّه مرصود من قنّاصة النظام التي تختار يومياً بمعدّل خمسة إلى سبعة أشخاص (من بين الآلاف) لترديهم بين قتيل وجريح دون تفرقة بين رجل أو امرأة أو طفل. تمشي في طابور من ألوف البشر قبل أن يستقبلك «حاجز الجيش الحر» وهو يمنّ عليك بسماحه لمرورك لتشتري حاجياتك من المناطق المحرّرة. يُسمعك كلمات من قبيل (خلّي بشّار يطعميك). يشترط على النساء لباساً معيّناً متستّراً، ويقوم بإعطائهن مناشير دعويّة عن الحجاب والسترة في أحيان أخرى في مشهد يوحي لك بتراجيديا انتقام «طبقي» تمارسه الطبقات الشعبيّة «والريفيّة» من أثرياء المدينة.

هنا للمسلّح الذي يحمل بندقيّة سطوة على المهندس والمحامي والطبيب الذي يعبر للمناطق المحرّرة ليشتري «كيلو بندورة» أو بعضاً من العدس والبرغل. الاعتداءات اللفظية ليست كلّ شيء، شخصياً أجد صعوبة بالتنقل في أرياف وضواحي مدينة حلب (المحرّرة) لأنّ مكان سكني في «الهويّة» يعود لإحدى المناطق الغنيّة في «المحتل»، تعرّضت لل»تشويل» لأكثر من مرّة لهذا السبب في الحواجز بتهمة الاشتباه بأني «شبيح» قبل أن أستطيع تبرير وجودي ونشاطي الثوري حتى يتمّ إطلاق سراحي. لا ينتهي الأمر هنا، هناك ما يُظهر حجم الهوّة أكثر، تتعرّض مناطق «النظامي» لقذائف «هاون» عشوائية للجيش الحر تودي غالباً بحياة مدنيين ولم أسمع أنّها نجحت باستهداف جندي نظامي لمرّة واحدة. هذه السلوكيات لا تحظى بالمباركة والتأييد، لكنها أيضاً لا تجد الرادع الكافي ليوقفها.

اعتدت أن أصادف صديقتي في «المظاهرات» أيّام السلميّة، يظهر بيننا اليوم اختلاف كبير في مدى الحماسة للثورة. لست أنا من يأكل الصفعات على حدّ قولها، هي أكثر من يأكلها بمكوثها بمناطق الجيش النظامي. ليس هناك موت كثير مقارنة بالمناطق المحرّرة لكن هناك ذلّ يمارسه الطرفان على سكان هذه المناطق. تسرّ لي أنّها صارت تفرح وتحتفل حينما يسيطر الجيش النظامي على «خناصر»، لأنّ هذا سيعني أنّ طرق الإمداد ستنفتح، ولن يقتصر الإمداد على «السلاح» للجيش، بل على الغذاء أيضاً، وسيعني انتعاشاً في الأسواق وانخفاضاً في الأسعار واعتماداً أقلّ على «معبر بستان القصر». لو كنّا نعلم أنّ الأمر مؤقّت نحن مستعدّون أن نصبر ونصبر بانتظار تقدّم الجيش الحر، لكننا صرنا نعلم أنّ الأمر كرّ وفر، ومع كلّ كرّة نجوع أكثر بانتظار «الفرّة»!